الفصل الثاني
واقعية النص
النص مورد العلاقات النصية

توطئة الفصل:

مضى بنا البحث في الفصل السابق يعرض موقف العلماء ويظهر جوانب من جهودهم حول ظاهرة العلاقات النصية ومفهومها، وذلك من منظورات متباينة ومختلفة، وقد أفضي بنا الحديث إلى أن ثمة جهودًا لا تنكر قدمها العلماء على المستويين، المستوى القديم المتمثل في التراث العربي، والمستوى الحديث المتمثل في تنظير بعض المنظرين من علماء الغرب المحدثين.

وهذا الفصل الذي بين أيدينا يمضى تباعًا ليؤكد أن هذه العلاقات كان موردها هو النص ذاته، وأن الوصول إليها لا يتأتي إلى بسبره وفك شفراته.

وفك شفرات النص وسبره من خلال الوصف والتحليل غاية تحاول أن تكشف عنها الدراسات النصية.

وقد آمن البحث في هذه الأطروحة أن دراسة الظاهرة مادامت نصية لا ينبغي أن تفارق النص، باعتبار أنه المورد والمصدر الرئيسي لها من حيث الواقع؛ لذلك جاء هذا الفصل يبين أن العلاقات النصية موردها النص، وأن التحليل وما يسبقه من وصف هو المسلك والطريق للوصول إليها، وأن هذه العلاقات بمفهومها ووظيفتها تلعب دورًا مهمًا في تماسك النص والتئامه.

غير خاف على البحث - في الوقت ذاته - أن العبء في ذلك كله إنما يقع على المتلقي، سواء كان قارئًا متذوقًا غير متخصص أو مستمعًا...، أو كان المتلقي.. متخصصًا يدرس ما يتذوقه أو يتذوق ما يدرسه.

على كلٍّ مضى هذا الفصل في مبحثين يكشف عن هذه الجوانب ويوضحها مع جوانب أخر تظهر في مواضعها.

المبحث الأول

التحليل النصي مسلك إلى العلاقات النصية

بعد أن بدأت معالم علم اللغة النصي في الوضوح رأينا الكثير من علماء اللغة يتحدث عن وظيفة علم اللغة النصي، ورأينا التكرار واضحًا في بيان هذه الوظيفة، سواء كان ذلك من علماء الغرب أو من علماء العرب، وتكاد تتفق رؤيتهم جميعًا على أن وظيفة علم اللغة النصي تنحصر في أمرين أساسين هما: الوصف النصي T.Description، والتحليل النصي T.Analysis[1].

وجدير بالذكر أن المنطلق في تحديد هاتين الوظيفتين هو أنه لا يمكن البداية بالتحليل النصي دون أن يوصف النص، فالوصف - لا ريب- يسبق التحليل، فيجب- إذن - توضيح مكونات النص ابتداء من الجملة الأولى، ثم بيان الموضوعات التي تناولها النص، ثم إدارج الدراسة الإحصائية تحت إطار الوصف ، من حيث بيان تنوع العلاقات الموجودة في النص المحلل.. وعندئذ يأتي دور التحليل النصي[2].

أولاً : مفهوم التحليل النصي ومنطلق البداية :

والتحليل النصي - كما يوضحه أستاذنا الدكتور محمد حماسة - «هو عملية فك البناء لغويًا وتركيبيا من أجل إعادة بنائه دلاليًا»[3]. و«لكي يكون هذا التحليل (تحليلًا نصيًا) لابد أن يؤسس على (النص) نفسه»[4].

والتحليل النصي لا يتحقق في أساسه من خلال تطبيق نحو الجملة، وإنما يتحقق من خلال تحليل العلاقات القائمة بين الوحدات النصية التي تضم مجموعة من القضايا أو الجمل؛ لأن البناء الشامل للنص له دلالة كلية تتجاوز دلالة مجموع مفرداته أو جمله،

---

(١) راجع: د صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١/ ٥٥.

(٢) حول هذا المعنى راجع: د. صلاح فضل ، البلاغة الخطاب وعلم النص صـ ٢٤٧.

(٣) د. محمد حماسة ، منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ ١٠٨.

(٤) المرجع السابق صـ ١٠٨.

هذه الدلالة تتحقق من خلال التفاعل بين بنياته الصغرى التي تتآزر وتتداعي فيما بينها من أجل أن تؤدي دورها التركيبي والدلالي في تحقيق البنية الكبرى للنص أو الخطاب.

وقبل أن يتعرض البحث لمنطلق البداية في التحليل النصي يواجهنا سؤال مؤاده: ما نوع النص الذي يمكن تحليله؟ وما طول هذا النص؟

جدير بالذكر أن النصوص أنواع متعددة، تختلف في طريقة صياغتها، وبالتالي في وسائل تماسكها، «فالترابط النصي في الحكاية يختلف عنه في نص قرار أو حكم، والترابط النصي في الخطابات التجارية يختلف عنه في مشهد درامي»[١] و«أنواع النصوص هي نماذج سائدة عرفيًا لأفعال لغوية مركبة»[٢]، واختلافها يعطي «إمكانات متباينة للأداء، ولاسيما من الناحية النحوية.. حيث تظهر هذه الأنواع النصية في صياغات وبدائل نمطية مختلفة»[٣] في نسبة اعتمادها على الأدوات ومن ثم تحقق استعمالها[٤].

وهكذا تتعدد النصوص تبعًا لوظيفتها وأسلوبها، وشكل التواصل الذي تحققت من خلاله، وغير ذلك من معايير تقسم النصوص من خلالها[٥].

وأنواع النصوص عدة، منها النص المنطوق والمكتوب، ومنها النص المفتوح والنص المغلق[٦].

وثمة خلاف ما حول النص المنطوق؛ أيندرج تحت التحليل النصي، أم يكون تابعًا لتحليل الخطاب؟ فهناك من جعل النص هو الخطاب، والخطاب هو النص، ومنهم من جعل النص يختص باللغة المكتوبة، والخطاب يختص باللغة المنطوقة. فأصحاب الرأي الأول يجعلون النوعين الأول والثاني أي: المنطوق والمكتوب في إطار تحليل النص لا

---

(١) د. محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي صـ ٥٠.

(٢) كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج صـ ١٧٣. ترجمة وتعليق د. سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار القاهرة ط: ١ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) المصدر السابق صـ ١٧٤ وما بعدها.

(٤) انظر: الأزهر الزناد، نسيج النص صـ ٣٧.

(٥) انظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص صـ ١٧٤ وما بعدها.

(٦) راجع: د.صبحي إبراهيم الفقي علم اللغة النص بين النظرية والتطبيق صـ ٥٦.

تحليل الخطاب. وأصحاب الرأي الثاني يرفضون وقوع النص المنطوق في هذا الإطار. والبحث يؤيد الرأي القائل بأن التحليل النصي يكون للنص المنطوق كما يكون للنص المكتوب[١]. على حد سواء طالما توفرت في أي منهما معايير نصيه.

أما النص المفتوح، فهو - كما ذكر هاليداي - مثل الوصفات الطبية المطولة، واللغة التي تدور بين الطلاب، ولغة الفصول في المدارس.. والنص المغلق، فهو مثل الرسائل المستعملة في خدمة الجنود، والتي ترسل خلال الأجهزة اللاسلكية[٢].

وتحديد معياري الطول والقصر راجع في الأساس إلى النوعين الأخيرين : المفتوح والمغلق . فالنص إذا كان قصيرًا يكون حينئذ مغلقًا وإذا كان طويلًا يكون مفتوحًا[٣].

وبالاستفادة من معياري الطول والقصر في النوعين الأخيرين كمسمى يمكن أن نقسم النص المكتوب والمنطوق إلى:

- النص المكتوب المفتوح - النص المكتوب المغلق

- النص المنطوق المفتوح - النص المنطوق المغلق

فالنص المكتوب قد يكون طويلا وقد يكون قصيرًا، كذلك النص المنطوق قد يكون في تنظيمه طويلًا وقد يكون قصيرًا.

هذا عن **مفهوم التحليل النصي** . أما عن **منطلق البداية** في التحليل النصي، فإنه من الملاحظ أن في كل نص - غالبًا - أمرًا جوهريًا أو عناصر مهمة يظهر مضمونها في أرجاء النص كلها، يستطيع القارئ أن يعينها تبعًا لمعارفه واهتماماته.

وبناء عليه «يعتمد تفكيك النص إلى الوحدات المكونه له على الإدراك السليم لبنيته العليا، مما يعد شرطًا ضروريًا لتحليل علاقاته وضبط خواصه»[٤].

فالنص عادة ما يتكون من كلمات وجمل، وعند التحليل لا يكفي أن نقول: إن

---

(١) د.صبحي إبراهيم الفقي علم اللغة النص بين النظرية والتطبيق صـ ٥٦ وما بعدها.

(٢) راجع: السابق ١/ ٥٧.

(٣) المرجع: السابق ١/ ٥٧.

(٤) د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص صـ ٢٥٣.

النص مكون من هذه الكلمات وتلك الجمل؛ لأن هذا «لن يسهم في الكشف عن الخواص النوعية البنيوية المميزة للنص. كما أننا عندما نعمد إلى الكشف عن بنية مدينة ما لا نلجأ إلى اعتبار الأشخاص القاطنين فيها، ولا الحجرات التي يسكنونها هي وحدات هذه المدينة. مع أن هذا صحيح من الوجهة المادية المباشرة. إلا أن التقسيم المناسب من الناحية الوظيفية والعمرانية للمدينة باعتبارها كذلك لابد أن يبدأ بوحدة (**الحي**) وموقعه ونوعية مبانيه وسكانه وخدمات وشبكات اتصاله بغيره من المناطق ودرجة كثافته... عندئذ نستطيع أن نصل إلى تحديد الأحياء وشخصياتها، والمدن وهياكلها العمرانية»[(١)].

وكذلك الأمر في النصوص الأدبية يعد التعرف على الأجزاء المكونة لها وظيفيًا وبنيويًا شرطًا ضروريًا لإمكانية بحثها واكتشاف هيكلها[(٢)]. فـ«تجزئة النص من أجل دراسته ـ كما يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة ـ ليست تجزئة يراد بها تحنيط هذه البقايا المجزأة، لكن يراد بها أن نفهم عقليًا حركة الأجزاء والعلاقة فيما بينها في الجسم الحي الذي نحبه وهو النص»[(٣)].

و**التقسيم الوظيفي** يعني الوظيفة الدلالية التي تحمل المعنى العام، أما بقية الأحداث فيمكن إدراكها تبعًا لمعرفة طبيعة جنس النص الذي يحلل.

ففي قوله تعالى: ﴿**اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴾ [النحل: ٢٨]، كان من المتوقع القول: بأن الهدهد أخذ الكتاب من سليمان عليه السلام ثم طار به، ثم ذهب إلى ملكة سبأ، ثم أعطاه إليها، فأخذته منه، ثم قرأته على الملأ من قومها، ﴿**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾ [النمل: ٢٩]، فإنه - تعالى - حذف هذه الجمل التي يمكن إدراكها كلها من السياق العام للحدث، وأن هذه المحذوفات من البدهي أن تحدث في مثل هذا الحدث، وأن حذفها لا يترتب عليه نتائج جوهرية في بقية القصة ونصها. إذن نبدأ بالنظر

---

(١) المرجع السابق صـ ٢٥٤.

(٢) المرجع السابق صـ ٢٥٤.

(٣) د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي صـ ١٦٥. مطبعة المدينة القاهرة .ط: ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

إلى الوحدات الوظيفية الشاملة، أي التي لها تأثير جوهري في بقية العناصر، ثم علاقاتها ببقية العناصر الثانوية[١].

إذن يعتمد التحليل النصي على الدلالة النصية على المستوى الأعلى الشامل للنص، ثم بعد ذلك ينظر إلى هذه التتابعات الثانوية في النص . وهذا يؤكد دور المتلقي البارز؛ فهو الذي يظهر العناصر المفقودة في النص بناء على السياق اللغوي والمقامي، ثم يربط بين المذكور والمفقود.

ويبدأ التحليل النصي - أيضًا - من محاولة التعرف على الموضوع الأساسي الذي يعالجه النص، وذلك بملاحظة الجوانب المحورية الأساسية أو الشاملة الموظفة لإبراز الموضوع الأساس. وبناء عليه يتاح لمحلل النص أن يضع عنوانًا مبدئيًا يعتمد عليه في إجراءات تحليله.

والجملة الأولى في التحليل النصي لها أهمية لا يمكن تجاهلها؛ فالاستهلال يحتل مكانة بارزة من حيث أهميته من ناحية، ومن حيث علاقته ببقية أجزاء النص من ناحية أخرى.

فالجملة الأولى أول ما ينطق به المتكلم في تواصله مع المتلقي، ومن ثم يحرص - في الغالب - على أن تكون دلالة هذه الجملة كاشفة ومشيرة إلى موضوعه فهي؛ مفتاح النص، ومنطلقة الذي تتناسل بنيته من خلالها، لهذا تعد ذا أثر واضح في تحديد موضوع النص أو الخطاب.

ففي الغالب يركز المرسل أو المتكلم كل جهده في هذه الجملة؛ إذ يكون ما بعدها غالبًا تفسيرًا لها. كما أنها تمثل المحور الذي يدور عليه النص أو الخطاب فيما بعد؛ إذ تتعلق الأجزاء الباقية من النص بالجملة الأولى بوسيلة ما. وهذا - لا شك - واضح بصورة جلية واضحة في نص لغة القرآن الكريم.

---

(١) يمكن أن نطلق مسمى العناصر الاختيارية على العناصر أو التتابعات الثانوية، لأنه لو حذفت لما ترتب عليها شيء يمثل الأهمية. ويمكن إطلاق العناصر الإجبارية كمسمى على العناصر الجوهرية في النص؛ لأنه لا يمكن الاستغناء عنها، كما أن حذفها يترتب عليه أشياء، راجع: د. صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١/ ٦٠ من الهامش.

وقد أدرك العلماء القدماء و المحدثون أهمية الجملة الأولى في النص، بل الكلمة الأولى في الجملة[١]، فيقول السيوطي: «وسئل الشيخ.. عن الحكمة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتحميد.. فأجاب.. بأن سورة (سبحان) لما اشتملت على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي ﷺ، وتكذيبه تكذيب لله تعالى، أتي بـ(سبحان) لتنزيه الله عما نسب إليه ولنبيه من الكذب. وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخير الوحي نزلت مبينة أن الله تعالى لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين؛ بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد على هذا النعمة...»[٢].

وفي سورة «سبأ» لما تضمنت ما منح سبحانه داود عليه السلام من تسخير الجبال والطير.. وإلانة الحديد ناسب ذلك ما به افتتحت السورة من أن الكل ملكه وخلقه، فهو المسخر لها والمتصرف في الكل بما شاء، فقال تعالى في أول سبأ: ﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآَخِرَةِ﴾ وهذا أوضح التناسب[٣].

فالارتباط واضح بين افتتاح كل من هذه السور وبما يليها من موضوع السورة، والقضايا التي تناقشها.

والجملة المحورية[٤] - كذلك - لا تقل شأنًا في التحليل النصي عن الجملة الأولى؟

---

(١) وقد يبدأ التحليل النصي من الكلمة المحور، وهي الكلمة النواة في النص الذي يرتبط موضوعه بها؛ حيث «يبنى عليها النص سواء كانت مذكورة، أو مضمرة... لأغراض...» د. محمد مفتاح: دينامية النص ص ٩٤. فإذا كانت موجودة فقد تتضع من خلال استمراريتها المتحققة بعلاقات نصية مرجعية كالتكرار أو الإحالة.

(٢) السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ١/ ٨٢ تحقيق على محمد البجاوي ، دار الكتاب، بيروت، بدون.

(٣) المصدر السابق صـ ١/ ٨٤.

(٤) الجملة المحورية ليس لها رتبة مقيدة في النص أو الخطاب، بل هي حرة الرتبة فقد تكون في أوله كأن تكون الجملة الأولى مثلًا، وقد تكون في عمقه، وقد تأتي في نهايته أو قبل نهاية مقطعه. وكذلك الكلمة المحور.
أطلق الدكتور محمد مفتاح على الجملة الأولى (الثابت البنيوي) وعلى الجملة المحورية (الجملة الهدف) راجع: دينامية النص صـ ٢١٢ - ٢١٣.

فبنية النص ـ كما يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة ـ «تأخذ من هذه الجملة.. نقطة انطلاق تناسل النص ونموه ، فتتولد عن هذا المحور أحيانًا أبنية متوازية أو متجاورة»[١].

إذن لم يقف التحليل النصي في منطلق نقطة البداية عند حد التعرف على العناصر الجوهرية والثانوية وكذا الموضوع والعنوان، بل يتعداها إلى الجملة الأولى وكذا المحورية. والكلمة المحور أيضًا قد تكون - وهي نواة في النص - منطلق بداية التحليل النصي.

وعلى محلل النص أن يهتم بكل عنصر من عناصر مكوناته وبكل ظاهرة فيه، مهما بدأت صغيرة، انطلاقًا - كما يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة - «من أن كل مكون لابد أن يكون له رصيد من الدلالة، حيث تشكل كل دلالة جزئية لبنة من الدلالة الكلية للنص»[٢].

ثانيًا : طبيعة التحليل النصي ومستوياته :

بداية أثارت قضية التحليل النصي العديد من الأمور؛ أيعتمد التحليل النصي على النص المنطوق دون المكتوب، أم عليهما معًا؟ أيشارك المتلقي (القارئ) أو المستمع) كما يشارك المتحدث والكاتب في عملية التحليل، بمعنى آخر أتشملهما عملية التحليل، أم يكتفى بالتحليل للنص أو الخطاب فحسب؟

ويوضع البحث أنه إذا كان علماء اللغة النصيون قد أكدوا أن «تحليل الخطاب يعني بالضرورة تحليل اللغة المستعملة؛ لذا فإنه لا يقتصر على الوصف للأشكال اللغوية معتمدًا على الأغراض أو الوظائف التي تسير إليها هذه الصيغ لتخدم الشئون البشرية»[٣]؛ ومن ثم لا تقف وظيفة المحلل عند فحص النص منفصلًا عن البيئة المحيطة.

---

(١) د. محمد حماسة ، الإبداع الموازي : التحليل النصي للشعر صـ ١٧٩، دار غريب - القاهرة- ٢٠٠٢م.

(٢) د. محمد حماسة ، منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ ١٢٢ .

(٣) راجع: د. صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق صـ ٦٢ .

والمحلل - كذلك - يهدف في تحليله النصي إلى معالجة النصوص بعمليات ديناميكية للغة المستعملة للتواصل في ضوء علاقتها بالسياق[١].

وقد عرض براون ويول لطبيعة التحليل النصي من خلال عدة آراء، أكدت كلها ضرورة دراسة اللغة في ضوء العلاقة بين المتحدث والسامع/ الكاتب والقارئ والعالم المحيط أو السياق[٢].

ومن ثم ينبغي إبراز «التفاعل بين بنية النص الخلاقة والعوالم المحتملة التي تتعلق بها، والإبقاء على التفاعل بين عناصر تواصلية جوهرية ثلاثة تتمثل في المنشئ والنص والمتلقي»[٣].

وإذا كانت التداولية - «باعتبارها العلم الذي يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به»[٤] - تنهض على الأركان الثلاثة (النص والمؤلف والمتلقي) فدوردها في تفسير العلاقة بين هذه الأركان أو العناصر الثلاثة دور حيوي لا غنى عنه. فالنص رسالة تنطلق من المؤلف (المرسل) باتجاه المتلقي (القارئ أو السامع)؛ ومن ثم فهذا المتلقي له دوره الفعال في استنطاق النص وفض مغاليق الرسالة والكشف عن مضمونها. ومن هنا كان النقاش والجدل بله الخلاف حول هذه العناصر المكونة لهذا المستوى التداولي، بدءًا بالمؤلف مرورًا بالنص، وانتهاء بالمتلقي، ودور كل طرف في منظومة التداولية[٥].

إذن طبيعة التحليل النصي لم تقتصر على الدراسة الشكلية للنص فحسب، بل تعدت ذلك إلى إبراز دور المشاركين في العملية اللغوية. كما أن طبيعة التحليل النصي تتمثل في كيفية اختيار المبدع لأدواته وكذا وسائله.

والمبدع في نظر البحث قد ينطبق على المؤلف الذي استثمر الأدوات والوسائل في

---

(١) راجع: براون ويول، تحليل الخطاب صـ ٢٣٧، ترجمة وتعليق د. محمد لطفي الزليطي، د. منير التركي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود.

(٢) براون ويول، تحليل الخطاب : صـ ٢٣٧.

(٣) د. سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص : المفاهيم والاتجاهات صـ ٢٥٧ وما بعدها.

(٤) راجع: د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص صـ ٢٦.

(٥) راجع: فرنسواز أمرينكو، المقاربة التداولية صـ ٨، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء العربي القومي سنة ١٩٨٩م.

بناء نصه، وقد ينطبق – أيضًا - على المتلقي (القارئ أو السامع) المحلل الذي يحاول بإمكاناته الأدبية فض مغاليق النص، مجتهدًا في الوصول إلى الأدوات والوسائل التي انتظم بها النص كائنًا يحمل رسالة موجهة ذات أبعاد، وتتحدد هذه الأبعاد حسب نوع النصوص المعروضة على إجراءات التحليل.

هذا عن طبيعة التحليل النصي، أما مستوياته فلم تخرج كثيرًا عن مستويات التحليل في نحو الجملة. فإذا كانت مستويات التحليل في نحو الجملة قد ارتكزت على المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي والمعجمي والدلالي - وهي ما يمكن جعلها في مستويين فقط هما: المستوى الشكلي والمستوى الدلالي، مع وجود التشابك بل التفاعل بينهما - فإن التحليل على مستوى النص قد ارتكز عليهما أيضا. فضلا عن ذلك ما أدخله المحللون النصيون من مستوى ثالث، هو المستوى (التداولي).

وهذه المستويات الثلاثة (المستوى الشكلي أو النحوي، والمستوى الدلالي، والمستوى التداولي) وهي المكونة للبنية الكلية للنص تتداخل وتتشابك وتتمازج فيما بينها، بحيث إن محاولة الفصل بينها يكاد يكون ضربًا من الخيال؛ لأن الفصل حينئذ يكون فصلًا متعسفًا، لا يرتكن إلى ما يسوغه أو يبرره.

فالمستوى النحوي الذي يعرض من خلاله بعض القرائن اللفظية وصلتها بالمعنى الكلي للنص نرى أن هذه القرائن ترتبط بالمستوى الدلالي ارتباطًا وثيقًا لا انفصام ولا انفصال[١]. وما المعنى الجزئي الذي تمثله القرينة اللفظية النحوية إلا محاولة للامتداد والانتقال إلى ما يليها من المستوى الدلالي الذي نصل إليه عبر القرينة السياقية التي نحكم بواسطتها ما إذا كان المعنى المقصود هو معنى حقيقي أو معنى مجازي[٢].

وكما أن المستويين: النحوي والدلالي مرتبطان في بنية النص فإن المستوى التداولي- كذلك- يمثل ارتباطًا ثالثًا؛ لأن التداولية تعني العلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم، مما يطلق عليه سياق النص[٣](*).

---

(١) راجع: د. محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة، مبحث العنصر الدلالي في بعض الظواهر النحوية صـ ١١١إلى ١٦١.

(٢) راجع السابق: مبحث التفاعل بين الوظائف النحوية والمفردات صـ ٥٩إلى ١١٠.

(٣) راجع: د. صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص صـ ٢٦.

(*) ومن المعلوم أن سياق النص - كما يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة - نوعان: «سياق لغوي، وسياق حالي.أما السياق اللغوي الذي توجده مكونات التراكيب ومعطيات التعبير، فهو موجود في النص بوصفه نصًا واحدًا متماسكًا وأما السياق الحالي، وهو الظروف الملابسة للنص المحيطة به،فإنه على أحد=

ثالثًا: مرتكزات التحليل النصي وقواعد استقراره[*]

بداية تنبغي الإشارة إلى أن هناك مرتكزات يرى البحث أنها أساس يعتمد عليه في التحليل النصي يمكن أن نجملها على النحو التالي:

أول هذه المرتكزات هوالنحو، والمراد بالنحو - هنا - كما يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة - هو «النحو التفسيري لا النحو التعليمي... بوصفه البنية العميقة التي تعطي الجملة معناها، والنحو كما قدمه علماؤنا الأوائل علم نصي، لأنه يتعامل مع التراكيب، ولا يمكن فهم تركيب ما إلا من خلال بنيته النحوية، والمفردات التي تشغل هذه البنية، والتفاعل القائم بين المفرد ووظيفته النحوية من خلال سياقة النصي»[(١)].

ويعتمد المرتكز الثاني على «ما تمخض عن الحديث حول إعجاز القرآن، إذ مال كثير من العلماء إلى أن الإعجاز يكمن في نظمه[(٢)] وتركيبه، ومن ثم تفتقت العقول عن دراسات عميقة في هذا المجال، ما زال أهمها ما قدمه عبد القاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز) مستندًا إلى النحو حيث اكتملت لديه نظرية النظم المعروفة التي حولها التابعون إلى ما سموه علم المعاني... وهذه المعاني التي يقصد إليها ليست معاني من الممكن حصرها وتحديدها بحيث يمكن أن تتحول إلى قواعد صارمة، بل هي معان كثيرة متجددة مع تجدد الإبداع الأدبي نفسه»[(٣)].

ويتمثل المرتكز الثالث- كما يقول الدكتور - محمد حماسة «في جانبين: الجانب

=أمرين: إما أن سياق القصيدة «النص» اللغوي يتضمنه ويشير إليه، وحينئذ يصبح سياقًا لغويًا؛ لأن الإشارات إليه والإحالات عليه متضمنة... وإما أن يكون سياق القصيدة (النص) لا يتضمنه ولا يشير إليه، فيكون معنى هذا أن بناء القصيدة «النص» لا يحتاج إليه، ويكتفي بنفسه» منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ ١١٨ - ١١٩.

[*] هذا العنوان خلاصة مما قدمه أستاذنا الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف في بحثٍ عرض فيه منهجه في التحليل النصي.

(١) د. محمد حماسة ، منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ ١١٥.

(٢) النظم هو الترتيب بين الكلمات والجمل والفقرات في النص الواحد والترتيب يقتضي تحقيق العلاقات النحوية بينها؛ لأنه «لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك» عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز صـ ٥٥.

(٣) المرجع السابق صـ ١١٥.

الأول يتمثل في الدعوة المحدثة في النقد الأدبي التي تحاول جاهدة توجيه النقد الأدبي العربي إلى وجهه لغوية عن طريق النقد التطبيقي متأثرة في ذلك بما قدمه أصحاب «النقد الحديث».... وقد وصف هؤلاء (النقاد الجدد) بأنهم شارحو نصوص وليسوا أصحاب نظريات؛ لأن القاعدة الأساسية عندهم هي النص... ومن هنا أصبح النقد الأدبي الجديد أكثر ارتباطًا وتمسكًا بعلم اللغة... ولذلك ينبغي الدخول إلى النص الأدبي بغية تحليله من بابه الملائم وهو اللغة بكل مستوياتها وأبعادها التي يستخدمها العمل الأدبي في شكله الملائم»[١].

«والجانب الآخر يتمثل في الاتجاه الأسلوبي، وهو أيضًا يعتمد على النص نفسه، وينطلق من إحصاء بعض السمات الخاصة في النص التي تكون معبرة عن تميز نص بعينه، ويحاول تحليلها سواء أكانت هذه السمات تتعلق بالمفردات أم بالنظام النحوي... وهذا في حد ذاته مقبول من حيث إنه يبدأ من النص وينتهي إليه»[٢].

هذا عن المرتكزات التي يرتكز عليها التحليل النصي، وهي كما هو واضح انحصرت في هذه الجوانب الأربعة النحو، والنظم، واللغة، والأسلوبية أما عن قواعد استقرار التحليل النصي فنجملها تلخيصًا - كما عرضها وناقش جوانبها أستاذنا الدكتور محمد حماسة - على النحو التالي:

لابد أن يؤسس التحليل كي يكون تحليلًا نصيًا على النص نفسه، أي لابد أن نعتمد عليه وحده في استخراج المعطيات التي تعين على تفسيره دون الاستعانة بمساعدات من خارجه، أيا ما كانت، على اعتبار أن كل نص يحمل في تضاعيفه مفاتيح حل ما يراد حله فيه[٣].

لابد عند التحليل النصي أن ينظر إلى أن «كل نص مرتبط بسياقه[٤]، وطريقة بنائه

---

(١) د. محمد حماسة ، منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ ١١٦.

(٢) المرجع السابق صـ ١١٦.

(٣) المرجع السابق صـ ١٠٨، وصـ ١٢١.

(٤) «..ولذلك يستطيع أبناء اللغة أن يميزوا بين نص القصيدة ونص القصة القصيرة، ونص المسرحية، ونص الرواية، ونص المقالة... وغير ذلك من أنواع النصوص » د. محمد حماسة ، منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ ١٠٨ - ١٠٩.

التي تختلف في خصائصها عن خصائص نص آخر»[١] وأن «كل ظاهرة في النص المدروس مرهونة بسياقها النصي الوارد فيه وينبغي ألا تفسر إلا في إطاره، وهكذا تكتسب كل ظاهرة حيوية متجددة بتجدد النصوص»[٢].

لابد أن ينظر إلى النص على أنه واحد ذوبنية متكاملة لا يغني جزء منه عن جزء آخر «والنص الواحد يتفاعل بعضه مع بعض بطبيعة كونه نصًا واحدًا»[٣]. وقد يبدو النص في بنيته الظاهرة جامعًا لعدد من الموضوعات ليس بينها - كما قد يظهر - رباط جامع، على حين أن الناظر المدقق يرى بإدراكه أن ثمة خيوطًا ناسجة وعلاقات رابطة تربط بين هذه الموضوعات، وإلا فالبنية الكلية هي الرابطة، وهذ تحتاج - أيضًا - إلى الناظر المدقق[٤].

ينبغي على محلل النص أن يهتم بكل عنصر من عناصر مكوناته، وبكل ظاهرة فيه مهما بدت صغيرة، انطلاقًا من أن كل مكون لابد أن يكون له رصيد من الدلالة حيث تشكل كل دلالة جزئية لبنة من الدلالة الكلية للنص[٥].

ينبغي على محلل النص الحيدة والموضوعية، أي: أن يكون تحليله النصي قائم على المنهجية التي يمليها ويفرضها النص نفسه لا التحليل القائم على عقيدة إيمان مذهبي لأمر في نفسه[٦].

ينبغي بل لابد على محلل النصوص ألا يعمم نتائج تحليل نص ما انتهي إليها على نص آخر، وإن كان من جنسه أو من فصيلته[٧]؛ لأن كل

---

(١) السياق هو النظم كما أراد به علماؤنا الأوائل. انظر: الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ٣/ ٣١٠، تحقيق د. عبد الله دراز. دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩١م.

(٢) د. محمد حماسة ، منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ١١٣.

(٣) المرجع السابق صـ ١١٧. وراجع: د. محمد حماسة ، فاعلية المعنى النحوي في بناء الشعر صـ ١٣٤-١٣٥ مجلة دراسات عربية وإسلامية العدد(١).

(٤) ثمة نوعان من النصوص: نص تتسلسل فيه المفاهيم تسلسلًا منطقيًا ، وتترابط من خلال العلاقات الدلالية، وآخر يبدو مفككًا في الظاهر، غير أن بنية النص الشاملة توحد عناصره المفككة وتشكل تماسكه.

(٥) انظر: د. محمد حماسة ، منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ ١٢١ - ١٢٢.

(٦) انظر: السابق صـ ١١٠.

(٧) انظر: د. محمد حماسة ، منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ ١٢٢.

نص ونظمه يحمل في طياته أدوات بنائه، وكذا وسائل تحليله ويبقي حينئذ على المحلل الناظر المدقق عبء الكشف عن هذه الوسائل وتلك الأدوات.

ويرى البحث أن هذا الكشف مقصدٌ بل غايةٌ تحققها الدراسات النصية من وراء إجراءات التحليل النصي.

كما يرى أنه لا توجد معايير صارمة تحتم دخول النصوص تحت شكل تحليلي بعينه بشكل متعسف، بل يتسم التحليل النصي بسمة جوهرية من بين سماته المتعددة، وهي سمة الدينامية الحرة في الانتقال بين عدة أشكال تحليلية لاستخلاص معايير وقيود تنبع من النصوص ذاتها.

وإذا كانت المعايير والقيود تستخلص من النصوص نفسها، والنصوص متنوعة ومختلفة، فكل نص يمكن أن تكون له معاييره وقيوده الخاصة؛ لأن لكل نص بنية لغوية دلالية خاصة به.

لذلك ليس لنحو النص في تحليلة تلك السلطة التي لنحو الجملة، التي هو قيود وقواعد صارمة- إلى حد ما- واجبة التنفيذ؛ لأن قواعد نحو النص اختيارية (انتقائية) تستخلص من النص نفسه، فلا توجد قواعد إجبارية تجبر محلل النص أن يطبقها ويخضع على أثرها النص. ولما كان ذلك كله مختلفًا باختلاف النصوص متنوعًا بتنوعها كان هناك قدر من الحرية في تحليل هذه النصوص[1].

رابعًا: الغاية من التحليل النصي

استقر لدى كثير من الباحثين أن الاتجاه القائم في تراثنا العربي القديم كان اتجاهًا يرمي إلى كيفية بناء النص وتكوينه؛ أما النظرية اللغوية الحديثة فاتجاهها يرمي إلى غاية وهدف واحد هو كيفية تحليل النص وذلك بعد هيكلته ثم وصفه. وإذا كان الاتجاه أو المسلك مختلفًا فمما لا شك فيه أن الغاية والهدف واحد، هو النص بناء وتحليلًا.

---

(١) حول هذا المعنى راجع: د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد ، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة سنة ١٩٩٩م.

والغاية من التحليل النصي - وهو ما يسعى إليه محلل النص أيًّا ما كان نوعه شعرًا كان أو نثرًا، مقدسًا كان أو غير ذلك - محاولة فهم النص وتفسيره من خلال مكوناته بصرف النظر عن الغرض الذي أنشئ من أجله، أو المناسبة التي لابست إنشاءه، والذي يساعد على الدخول في عالم النص ليس هو معرفة غرضه أو مناسبة إنشائه، بل هو إضاءته وكشف أسراره اللغوية، وتفسير نظام بنائه وطريقة تركيبه[١].

ويهدف المحلل- أيضًا - من وراء تحليله النص إلى البحث جادًا عن أسباب العدول أو الخروج الاختياري، ويتم ذلك عن طريق ربط هذه الوحدات بالعلاقات الناتجة عن كل تغيير والسياقات التي تنتظمها.

ويسعى محلل النص بإدراكه الفطن وخبراته المتكررة - أيضًا - إلى الكشف عن القوانين الخاصة ببنائه، وذلك عن طريق تفكيكه ومعرفة إجزائه ومكوناته وطرق ارتباطها وتماسكها، وتحليله إلى عناصره الأولية لغويًا ودلاليًا وتركيبيًا، ثم إعادة بنائه مرة أخرى.

وليس النظم عند عبد القاهر عناصر نميز بها المنظوم من المنثور، وإنما يقصد به البناء الداخلي للنص من خلال شبكة من العلاقات التي تربط بين وحداته، وتحقق دلالته الكلية.

إن الهدف الذي يسعى إليه التحليل النصي أكبر من مجرد استقراء معايير وقواعد معينة لضبط النص، وإنما هو إعادة بناء وتشكيل وبعث للنص من خلال إبراز شبكة العلاقات التي بها تتآزر وتتماسك وحدات النص كلها، بداية من جمله، مرورًا بمقاطعة وفقراته، وصولًا إلى النص بأكمله[٢]. و«النص الواحد –كما يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة - تحكمه علاقات لغوية ودلالية تعمل على تماسكه وترابط أجزائه، وعلى من يتصدي لتفسير النص أن يستعين بهذه العلاقات بنوعيها»[٣].

وهكذا كانت الغاية والهدف من وراء التحليل النصي، هو التنقيب والبحث عن

---

(١) راجع: د. محمد حماسة ، منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ ١٠٩ بتصرف.

(٢) راجع: جان ماري سشايفر، العلاماتية وعلم النص صـ ١٢٢ ترجمة منذرعياشي، المركز الثقافي العربي.

(٣) د. محمد حماسة عبد اللطيف ، منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ ١١٨.

شبكة العلاقات النصية؛ لذا يرى البحث أن التحليل النصي هو المسلك الحقيقي الذي يُتمكن من خلاله إلى الوصول إلى هذه الشبكة (ظاهرة العلاقات النصية موضوع الدراسة). وفي المبحث التالي من هذا الفصل يفرد البحث حديثًا عن العلاقات النصية.. ظاهرة التماسك في النص ، مبينا فيه جوانب متعددة تخص هذه الظاهرة، بداية من مفهومها وطبيعتها، مرورًا بفاعلية المعاني النحوية في تجسيد بنيتها ، ومحاور عملها ، وكذا وظائفها و أهميتها، ودور المتلقي في استنباطها ، وصولًا إلى أقسامها ومعايير تقسيمها. إلى غير ذلك من إشارات تخص هذه الجوانب تظهر في مواضعها.

المبحث الثاني

العلاقات النصية ظاهرة التماسك النصي

استقر لدى علماء النصية والمهتمين منهم بتحليل النصوص أنه لكي يصبح للتماسك أو الترابط النصي حضورٌ واجبٌ في أي نص لابد أن تمتلك كل وحدة من وحداته بعض أشكال التماسك مع الوحدة السابقة عليها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لابد أن تحتوي كل وحدة - على الأقل- على رابطة واحدة تربطها بما حدث مقدمًا. كما أن بعض الوحدات يمكن أن تحتوي على رابطة تربطها بما سوف يلحقها.

وإذا خلا النص أو الخطاب من هذه الأشكال الرابطة - سواء أكانت هذه الأشكال معنوية قائمة بين مكونات النص بنفسها أم معنوية تعبر عنها الأدوات والألفاظ - فإنه يصبح وحدات متراصة لا يربط بينها رابط، ويصبح النص - إذا عددناه- حينئذ نصًا- جسدًا بلا روح.

إذن فالتماسك أو الترابط بهذا المعنى يعني العلاقات الخطية واللاخطية التي تسهم في الربط الوصل بين وحدات النص.

ويقرر البحث أنه إذا كان التماسك أو الترابط النصي هو العلاقات، فإن العلاقات نفسها هي المسئولة عن ظاهرة التماسك أو الترابط النصي. علاقات نصية تربط بين وحدات النص ومفاهيمه شكلًا ومضمونًا.

أولاً: مفهوم العلاقات النصية وطبيعتها

- أضحي تحديد المصطلح ضرورة ملحة تقتضيها وتفرضها مناهج البحث الحديثة؛ إذ إنها مفاتيح العلوم، كما أنها عون على الإيضاح، والتفاهم السريع الموجز[1].

معنى هذا أن اتصاف مصطلحات العلم بالدقة، والتحديد «يدفع اللبس ...، وينفي الغموض ...، ويتجافي عن الخلط ...، وينأى عن التداخل»[2].

---

(١) انظر: الخوارزمي ، مفاتيح العلوم صـ ٣ طبعة أوربا.

(٢) د. أحمد عبد العظيم، المصطلح النحوي صـ ٢.

من أجل هذا سيحاول البحث الوقوف على مفهوم العلاقات النصية لغة واصطلاحًا.

في البداية يوضح البحث أن تحديد مفهوم العلاقات النصية يعيدنا إلى مفهومين لسانيين مهمين، هما:(العلاقات والنصية)

وهما - كما سيوضح البحث - يشكلان القاعدة البنائية الأساسية للنص أيًا ما كان نوعه؛ لعلاقتهما المباشرة بتوفير مقومات التماسك أو الترابط على مستوى وحدات النص كله.

لذلك ينبغي على البحث توضيح مفهوم العلاقات من جهة ، ثم بيان مفهوم النصية من جهة أخرى، ثم ـ أخيرًا ـ محاولة الربط بين المفهومين تحت إطار مفهوم أو تعريف واحد يجمع بينهما . ومن هنا يستقيم للبحث مفهوم العلاقات النصية تفصيلًا وإجمالًا.

أ- العلاقات Relations في اللغة

جاء في لسان العرب مادة (عَلِق): «عَلِق بالشيء علقًا وعَلِقه:نشب فيه؛ قال جرير:

إذا عَلِقَتْ مَخَالِبُه بِقَرْنٍ أَصَابَ القَلْبَ أَوْهَتَكَ الحِجَابَا

وفي الحديث: فعلقت الأعراب به: أي نشبوا وتعلقوا ...، وقال اللحياني: العلق النشوب في الشيء....، وعلق به علاقة وعلوقًا: لِزَمه... ويقال: علق الشيء يعلقه تعليقًا، وتعلق به، وتعلقه»[١].

وجاء في المعجم الوسيط في مادة (عَلِق): «العلاقة: الصداقة... وفي علم البيان: المناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد في المجاز والكتابة»[٢].

وعند الجرجاني في التعريفات «(العلاقة) بالفتح في المعاني وفي الصحاح: علاقة الخصومة والمحبة ونحوها. وشيء بسببه يستصحب الأول الثاني، كالعملية والتضايف»[٣].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عَلِق).

(٢) الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث: المعجم الوسيط، مادة (عَلِق).

(٣) الجرجاني ، كتاب التعريفات صـ ١٩٩.

فالمعنى المشترك كما يبدو هو: النشوب، واللزوم، والمواصلة والسبب، والاستصحاب، والمناسبة.

فالعلاقة - إذن - هي تعليق شيء بشيء آخر يجمع بينهما سبب أو مناسبة.

وما أرمي إليه في هذا السياق هو أن هذه العلاقة تكون جسرًا تتواصل من خلاله وحدات وأجزاء النص الواحد المطول منها والقصير .

ب- النصية Textuality

يعتبر مفهوم (النصية) Textuality أهم المقومات التي يقوم عليها علم اللغة النصي، بل هو المفهوم الذي يبرز أساسًا وجود هذا العلم، كعلم مستقل، وهي ـ أي النصية ـ تعني الملامح المميزة للنصوص، أو المبادئ والمعايير التي تحكم النص بالنصية أو ما به يكون الكلام نصًا. وهذه المعايير سبعة اقترحها دي بوجراند لجعل النصية أساسًا مشروعًا لإيجاد النصوص واستعمالها(١).

- السبك **Cohesion**: وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط. ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات والتركيب والجمل، وعلى أمور مثل: التكرار، والألفاظ الكنائية، والأدوات، والإحالة المشتركة، والحذف، والروابط.

- الالتحام **Coherence**: وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة؛ لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على:

أ - العناصر المنطقية: كالسببية والعموم والخصوص.

ب - معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والموقف.

جـ - السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم.

- القصد **Intentionality**: وهو يتضمن موقف منشيء النص من كون صورة ما من صور اللغة، قصد بها أن تكون نصًا يتمتع بالسبك والالتحام، وأن يمثل هذا

---

(١) انظر: دي بوجراند النص والخطاب والإجراء صـ ١٠٣ إلى ١٠٥.

النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها.

- القبول **Acceptability**: وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام.

- رعاية الموقف **Situationality**: وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطًا بموقف سائد يمكن استرجاعه. إن رعاية الموقف يشير دائمًا إلى دور طرفى الاتصال على الأقل.

- التناص **Intertextuality**: وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أو بغير واسطة.

- الإعلامية **Informativity**: وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة.

وهذه المعايير - كما هو واضح - يتسلط كل منها على جانب من جوانب النص؛ فالأول (السبك) أو (علاقات الترابط اللفظي) يتناول المستوى التركيبي، والثاني (الحبك) أو التماسك الدلالي الذي يتناول من خلال (علاقات الترابط المفهومي)، والثالث (القصدية) يكون على مستوى الهدف الذي يحققه النص، حيث يتناول قصد المبدع أو منشئ النص، والرابع (القبول) يكون على مستوى المتلقي؛ أي ماذا فهم المتلقي من النص؟، والخامس (الموقف) ويتعلق بالسياق أو المناسبة التي تولد عنها النص، والسادس (التناص) وهو المتمثل في (علاقات الاستدعاء) المسئولة عن تعلق نص بنصوص أخرى وتبعيته لها وتداخله معها. والسابع (الإعلامية) أو الإخبارية، ويتعلق بالكم الذي يحمله النص من المعلومات والحقائق.

هذا، وقد صنف الدكتور سعد مصلوح هذه المعايير التأسيسية إلى أنواع ثلاثة، هي:

- ما يرجع إلى النص في ذاته، وهما معيارا (السبك والحبك).
- وما يتصل بمستعمل النص - منتجًا ومتلقيًا - وهما معيارا (القصد والقبول).

- وما يتصل بالسياق، وهي معايير (الإعلام، والمقامية، والتناص)[١].

ويرى البحث - كما ذهب الدكتور أحمد عفيفي مستدلًا بتعريف الدكتور تمام حسان - أن (التناص) يدخل في إطار لغة النص الواحد، موضحًا أن: «التناص الذي يخدم النص إنما يحمل خصوصية التطبيق فبدلًا من أن تكون هذه المفاهيم والصور المطروحة بين نص حاضر ونصوص أخرى غائبة، فإن (التناص) المقصود هنا ينصبُّ على النص الواحد دون نصوص أخرى، يظهر ذلك في تعريف الدكتور تمام حسان للتناص حيث يقول»[٢]: «هو علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها وبعض، كما تقوم بين النص والنص، كعلاقة السؤال بالجواب، وعلاقة التلخيص بالنص الملخص، وعلاقة المسودة بالتبيض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضحه، وعلاقة المحتمل بما يحدد معناه، وهذه العلاقة ...هي المقصودة بعبارة: «القرآن يفسر بعضه بعضًا»[٣].

وهكذا سيكون للتناص بهذا المفهوم دور كبير في نحو النص، حيث سيؤكد وجود الروابط على مستوى النص الواحد، وذلك إذا ما لاحظنا علاقة الجواب بالسؤال أو علاقة المفسر بالمفسر، كذلك سيخدم المعنى في تقليل الاحتمالية الدلالية، أو ربما تحديد المعنى الذي يغمض على المتلقي[٤].

إذن ما يخص لغة النص من هذه المعايير المقترحة يكون في هذه الثلاثية:

السبك، والحبك والتناص. فالأول منها يعود إلى قوانين ترابط البنى اللغوية في ظاهر النص أو السطح، والثاني يعود إلى تلاحم العلاقات المعنوية بناء على ما ثيره عبارات النص، والثالث يعود إلى طرق تضمين سابقة باللفظ أو المعنى للنص المنتج؛ بناء على تقدير ثقافة المتلقي وعلمه بالنص[٥].

---

(١) د. سعد مصلوح ، نحو أجرومية للنص الشعري صـ ١٥٤.

(٢) د. أحمد عفيفي ، نحو النص - اتجاه جديد في الدرس النحوي صـ ٨٣.

(٣) د. تمام حسان ، نحو الجملة ونحو النص صـ ٢٠١. نص محاضرة ألقيت في معهد اللغة العربية بأم القري - مكة المكرمة - في الموسم الثقافي الصيفي لعام ١٩٩٥. وراجع: د. تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ٢/ ٢٢٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة.

(٤) راجع: د. أحمد عفيفي ، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي صـ ٨٣.

(٥) انظر: د. محمد عبد الرحمن الريحاني ، قراءة النص. رؤية في أدوات التحليل الدلالي صـ ٢٥٤.مجلة دار=

وانطلاقًا من هذه الرؤية- وهي أن ما يخص لغة النص لا يخرج عن هذه المعايير الثلاثة - يؤكد البحث أن التماسك أو الترابط النصي - وهو المعني بعلاقات هذه المعايير - ينبغي أن تعالج قضاياه من خلال نظرة شمولية أوسع مما كان؛ لأن النص بهذه الرؤية لا تتماسك وحداته ولا تترابط أجزاؤه من خلال سبكة وحبكه فحسب، وإنما - أيضًا - من خلال تناصه أو اقتصاصه بين الوحدات والأجزاء. هذا بصرف النظر عن المدى أو المسافة القائمة بين أجزاء النص ووحداته. فالنص ـ كما هو معروف عنه ـ فضاؤه كله واحد، والعلاقات بما تعبر عنه من معان دلالية مسئولة عن تماسك وترابط هذا الفضاء الواحد.

جـ- تعريف العلاقات النصية

هذا، وبعد أن اتضح لنا مفهوم (العلاقات) لغة ومدلولًا، و(النصية) مقترحات ورؤية يحسن بالبحث ضمًا وجمعًا بين هذين المفهومين أن يقترح مفهومًا للعلاقات النصية (موضوع الدراسة)، وقد ارتأى أن يكون في هذا التعريف، وهو أن العلاقات النصية هي: الجسور أو الوشائج الدلالية المستنبطة من القرائن اللفظية أو المعنوية التي تسهم في تماسك وترابط وحدات النص وأجزائه .

هذا عن مفهوم العلاقات النصية . أما عن طبيعة هذه العلاقات فإن «أغلب علماء النصية يرون أنها ذو طبيعة دلالية»[1].

ودليل ذلك أن التماسك أو الترابط اللفظي المستنبط من القرائن اللفظية - وهو المهتم بالروابط التي تجري في سطح النص، وهو الظاهر - يحمل - لا شك- منظورًا دلاليًا، وإن كان ذلك يأتي عارضًا؛ لأنه ينطلق من الشكل الظاهر إلى الدلالة المعبرة عنه، أو من اللفظ إلى المعنى؛ إذ إن كل الروابط اللفظية التي تربط ظاهر النص تحتوى بالضرورة على قدر من الدلالة التي يتم الربط وفقًا لها.

=العلوم ، العدد (٣٢) - القاهرة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. وراجع حول هذا المعنى - أيضًا - د. توفيق قريرة: التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص في النص الأدبي صـ ١٩١. عالم الفكر، العدد (٢) المجلد (٣٢) أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠٣م.

(١) د. سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص صـ ١٢٦.

هذا من جانب ، ومن جانب آخر يكون التماسك أو الترابط المعنوي - وهو المهتم بتوخي المعاني بين أفكار النص ومفاهيمه - دلاليًا كذلك.

وإذا كانت العلاقات النصية ذات طبيعة دلالية، فإنه يبقى أن نميز بين العلاقات المعنوية القائمة بين مكونات النص من جهة، وبين الأدوات والعبارات المعبرة عن هذه العلاقات المعنوية داخل النص من جهة أخرى(١).

هذا عن علاقات التماسك الطولي، الذي يتحقق من خلال العلاقات الدلالية الرابطة بين الوحدات النصية في متتالية يمكن أن ترتكز على الدلالات أو الروابط بين العناصر المشار إليها(٢).

وكذلك الأمر في التماسك الكلي فإنه يرتكز على طبيعة دلالية. والتماسك الدلالي الكلي يتحقق من خلال النظرة الكلية للنص في إطاره المقامي والمقالي بكل محتوياتهما، وصولًا إلى البنية الكبرى للنص، التي «تمتاز بطبيعة شمولية، وبطابع كلي، وأبعاد إطارية»(٣).

وهذه البنية الدلالية الكبرى تمثل موضوع النص، وتحديد الموضوع تابع للفهم الكلي للنص(٤).

«ويشرح فان دايك عمليات الترابط بين المتتاليات النصية، والتماسك الوظيفي بين الوحدات الكبرى، ودور القراءة والتأويل في تحديد هما على أسس دلالية ومنطقية. فالعلاقات التي تقوم بين الجمل أو العبارات في متتالية نصية يمكن أن ترتكز على الدلالات. فإذا لاحظنا الروابط التي تقوم بين العبارات باعتبارها (كلًا موحدًا) أمكننا أن نصوغ لترابطها المبدأ التالي: ترتبط العبارتان فيما بينهما إذا كان مدلولهما أي الظروف المنسوبة إليهما في التأويل مترابطة فيما بينهما»(٥).

---

(١) براون ويول ، تحليل الخطاب صـ ٢٣٣ ترجمة وتعليق د. محمد لطفي الزليطي. د. منير التريكي. النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود. الرياض.

(٢) راجع: د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص صـ ٢٦١.

(٣) د. صبحي الطعان، بنية النص الكبرى صـ ٢٣٧.

(٤) راجع: د. صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١/ ٩٧.

(٥) د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص صـ ٢٦١.

وتوضيح ذلك بين في لغة القرآن الكريم ؛ إذ إننا عندما ننظر إلى السور القرآنية نلاحظ أن فيها آيات متجاورة، وقد اختلفت مناسبات النزول في كل منها، ومع ذلك فهى متماسكة. «ولكن هذا التماسك راجع إلى وحدة الموضوع الذي تعالجه السورة، فالعديد من السور تتحدث عن قصص مختلفة من قصص الأنبياء مع العلم بأن لكل نبي قصة مع قومه، وقد يظن الظآنُّ أن هذه القصص غير متماسكة فيما بينها، لكنه يجد في النهاية أنه يجمعها إطار عام، هو أن هذه القصص عبرة وتسلية للرسول ﷺ... وهذا هو الجامع العام لهذه القصص، وهو لا شك رابط دلالي»[1].

ولتوضيح ذلك - أيضًا - يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة: «وقد تبدو القصيدة في بنيتها الظاهرة جامعة لعدد من الصور ليس بينها - كما قد يظهر - رباط جامع، إلا أنها جميعًا في قصيدة واحدة ذات وزن واحد وروى واحد إننا نظلم الشعر ظلمًا بينًا إذا نظرنا إلى القصيدة على أنها كذلك، بل لابد أن تكون للقصيدة «بنية عميقة» تجمع هذه الصور في إطار واحد على تباعد ما بينهما ظاهريًا، غير أن هذا الإطار يتسع لضم هذه الصور بحيث تكون كل صورة منها معادلًا لبعد معين من أبعاد القصيدة، وبين هذه الأبعاد خيوط ناسجة وعلاقات رابطة... فعلينا أن نبحث عن العلاقات التي تضم هذه العناصر في قصيدة واحدة، وعن وظيفة كل صورة من صورها مع الأخريات»[2].

إذن يتضح لنا ويتبين مما سبق أن العلاقات النصية ذو طبيعة دلالية من ناحية ، وذوطبيعة خطية شكلية دلالية من ناحية أخرى، وأن تطبيق الناحيتين معًا - لاشك - يسهم في تحقيق التماسك الكلي للنص.

ومن ثم يقرر البحث أن النص أو الخطاب الواحد تحكمه علاقات نصية هي في المقام الأول دلالية، وأن هذه العلاقات النصية الدلالية منها الخطية أو اللفظية، ومنها الضمنية أو المفهومية. كل يتوزع بتوزع بنيته

---

(١) د. صبحي الفقي ، علم اللغة النصي ١/ ٩٧.

(٢) د. محمد حماسة ، منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ ١١٧. وراجع حول هذا المعنى أيضًا الدكتور محمد حماسة، اللغة وبناء الشعر صـ ٦١ - ٦٣- ٦٤ - ٦٥.

النصية سطحية كانت أو عميقة.

ثانيًا: فاعلية المعاني النحوية وأثرها في تجسيد بنية العلاقات النصية

أدركنا- فيما سبق - أن العلاقات النصية - وهي المعنية بالتماسك النصي - ذات طبيعة دلالية، وذلك من خلال التماسك الدلالي الطولي: وهو المنظم للعلاقة بين المفاهيم والقضايا داخل النص عبرالعلاقات الدلالية الرابطة(١)، والتماسك الدلالي الكلي: وهو المتجسد في الوحدة الدلالية الكبرى للنص(٢).

وثمة سؤال يطرح نفسه، مؤداه ما أثر المعاني النحوية وفاعليتها في تجسيد بنية العلاقات النصية على المستويين: التماسك الدلالي الطولي، والتماسك الدلالي الكلي؟

إن الإجابة على هذا السؤال تجعلنا نتطرق إلى مقولة الفرض القائل:

إن النصوص في الأساس يمكن تحديدها بأنها تكوين بسيط من الجمل ينشأ بينها علاقات التماسك. وينتج عن ذلك أنه سوف ينظر إلى مشكلة ربط الجمل على أنها أساس وشرط لإيضاح عمليات إنتاج النص. ويجب أن تكون وظيفة نحو النص من خلال هذا المفهوم استنباط قواعد النص؛ للربط المشار إليه بين الجمل، وبناء على ذلك تحدد السمة النصية الكلية بأنها: تتابع أفقي متماسك لوحدات لغوية مترابطة بشكل متتابع بناء على أسس محددة(٣).

إن التتابع المذكور أنفًا يتعلق بوجه عام بتماسك دلالي، وأن هذا التماسك الدلالي يتضع من خلال العلاقات بين قضايا فردية، وقضايا أخرى داخل تتابع ما(٤).

وإذا اعتبرنا أن النص أو الخطاب متتالية أو متتاليات متتابعة من المفاهيم الجزئية

---

(١) وهو بهذه الصورة «خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى» د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص صـ ٢٦٣.

(٢) وهي «التمثيل الدلالي الكلي الذي يحدد معنى النص باعتباره عملا كليًا فريدًا» د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص: صـ ٢٦٦.

(٣) فولفجانج هاينه، وديتر فيهفجر مدخل إلى علم لغة النص صـ ١٩. ترجمة الدكتور سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٤م.

(٤) فان دايك ، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات صـ ٧١.

فلا شك أن ثمة علاقات أو روابط تربط بين هذه المفاهيم ، غير أن الهيكل أو الشكل التعبيري لهذه العلاقات يأتي في صورتين:

أولاهما: المبنى العدمي للعلامة أو اللفظ اللغوي، وهو ما يسمى بالعلاقات الضمنية أو العلاقات المفهومية، وهي العلاقات المستنبطة من توالي مفاهيم المعاني الجزئية في متتالية أو متتاليات نصية، وهذه العلاقات تربط بين الجمل أو المتتاليات النصية بدون توظيفِ وسيلةٍ لغويةٍ تعبِّرُ عنها.

والثانية: المبنى الوجودي للعلامة أو اللفظ اللغوي، وهو ما يسمى بالعلاقات الخطية أو العلاقات اللفظية، وهي العلاقات المستنبطة من الملفوظ على سطح النص.

وفي هاتين الصورتين يتركز التباين والاختلاف بين النصوص في طريقة الربط، حيث تميل بعضها إلى الإكثار من الصورة الأولى، ويميل بعضها الآخر إلى الاعتماد على الوسائل اللغوية، كما ذكرنا في الصورة الثانية. ومع ذلك كله تظل الدلالة النصية هي الحاكمة المحكمة لمتتاليات النص ووحداته.

ومن ثم يبدو أثر المعاني النحوية في هذه العلاقات، وذلك من طريقين:

أولهما: توظيف الوسائل النحوية للتعبير عن هذه العلاقات كأن تكون العلاقة النصية علاقة إضراب يعبر عنها بالأداتين (بل وأم) أو أن تكون علاقة تفسير يعبر عنها بالأداتين (الفاء، وأن) أو أن تكون علاقة تعليل يعبر عنها بالأداة (الفاء) أو تكون علاقة استدارك يعبر عنها بالإداة (لكن). إلى غير ذلك من ماهيات العلاقات المعبر عنها بالملفوظ في سطح النص.

والثاني: حيث تعبر المعاني النحوية عن هذه العلاقات دون الاعتماد على الملفوظ في سطح النص.. ومن ذلك ما عده علماء العربية سببًا من أسباب الفصل بين الجمل[١]. كأن يكون بين جملتين اتحاد تام؛ بأن تكون الثانية توكيدًا الأولى، أو بيانًا لها، أو بدلا منها[٢]. أو غير ذلك من العلاقات النصية المحددة تبعًا لسياق النص أو الخطاب. هذا عن أثر المباني النحوية في تجسيد بنية العلاقات النصية على مستوى التماسك الدلالي الطولي.

---

(١) انظر: السكاكي ، مفتاح العلوم صـ ١٤١ - ١٤٢.

(٢) راجع: د. تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ٢/ ٣٩٨.

وإذا قصد البحث الحديث عن أثر هذه المعاني في تجسيد أو تحديد بنية العلاقات النصية على مستوى التماسك الدلالي الكلي فإنه ينبغي أن يميز أو يفرق بين: إذا كان النص تتوالي فيه جمله وتتعاقب فقراته في تسلسل منطقي لا تفكك فيه ولا تنافر، وبين إذا كان النص في الظاهر مفككًا.

فإذا كان الأمر الأول فإنه في هذه الحال تسهم المعاني النحوية في تحديد هذه البنية المتمثلة في موضوع النص أو الخطاب، وذلك من من خلال (الإحالة والتكرار) - مثلاً - حيث تحقق العناصر الإحالية وصور التكرار استمرارية مفهوم أو ذات معينة في سطح النص، كما يكشف عن كونه الكلمة المحور في النص التي يدور حولها موضوعه. ومن ثم تكون المعاني النحوية قد ساعدت في تحديد بنية هذه العلاقة، وذلك من خلال تحديد الكلمة المحور أو الجملة المحورية.

وإذا كان الأمر الثاني، وهو أن يكون النص مفككًا في ظاهره فإن أثر المعاني النحوية يضعف نسبيًا في تحديد هذه البنية أي: الموضوع ومن هنا تبرر أثر النظرة الكلية في سياق النص وكذا بنيته العميقة التي من شأنها تجميع شتاته وتوحيد بنيته.

ثالثًا: محاور عمل العلاقات النصية

إن الحديث عن محاور العلاقات النصية في النص مجال (التحليل) يجعلنا ننطر إلى مسألة يرى البحث - هنا - أنها من الأهمية بمكان. هذه المسألة تتعلق بالخلط القائم لدى كثير من الدارسين المهتمين بتحليل النصوص، حيث لبسهم وخلطهم بين الجملة والنص في منهج التحليل. والحقيقة أننا أمام منهجين في الدراسة، أحدهما خاص بتحليل الجملة والآخرخاص بتحليل النصوص.

وأن التحليل النصي لا يتحقق في أساسه من خلال تطبيق نحو الجملة، وإنما يتحقق من خلال تحليل العلاقات القائمة بين الوحدات النصية التي تضم مجموعات من الجمل؛ لأن البناء الشامل للنص له دلالة كلية تتجاوز دلالة مجموع مفرداته أو الجمل، وهذه الدلالة تتحقق من خلال التفاعل بين بنياته الصغرى التي تتآزر وتتداعى فيما بينها من أجل أن تؤدي دورها التركيبي والدلالي معًا في تحقيق البنية الكبرى للنص.

وأن نحو الجملة علم ضبط الوحدة اللغوية الصغرى، والآخر أي:**علم النص**

علم ضبط الوحدة اللغوية الكبرى ، هي النص؛ فالأول يتعامل مع النواة الأساسية للنصوص، أما الآخر فينطلق إلى آفاق أرحب، إلى مستويات ما فوق التركيب اللغوي المفرد، إلى تركيبات جملية معقدة، يحلل فيها أوجه التماسك والترابط والانسجام؛ ليتعرف على أسرار التفرد والخصوصية في كل نص.

وأن اللسانيات النصية تدعو إلى تطوير وسائل التحليل اللغوي وإرهافها ورفع كفاءتها لتكون قادرة على معالجة العلاقات النحوية فيما وراء الجملة، وعلى وصف الخواص الأسلوبية التي تحقق الاستمرارية البنيوية للنص ووسائل الربط والسبك اللغوية والمضمونية[١].

ويظهر هذا الخلط جليًا عندما يتناقل كثير من الدارسين مثل مقولة الدكتور سعد مصلوح:« إن نحو النص text grammar الذي نريده وندعو إليه هو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة ، تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة ، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة intra sentential constituents . وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرجي ، يبدأ من علاقات ما بين الجمل intersentential relation ، ثم الفقرة paragraph ، ثم النص text أوالخطاب discourse»[٢]. أو « فالتماسك النصي يهتم بالعلاقات بين (أجزاء الجملة)، وأيضًا بالعلاقات بين جمل النص، وبين فقراته، بل بين النصوص المكونة للكتاب »[٣]. إلى غير ذلك من المقولات أو العبارات الدالة على هذا الخلط.

وإذا كان البحث يُقرُّ أو يُقرِّر تبعًا لما ساقه كثير من الباحثين أنه من الممكن المتاح أن يعتمد في تحليل النصوص على أدوات نحو الجملة ؛ على أنه ـ أي: نحو الجملة ـ «يشكل جزءًا (كما) غير قليل من نحو النص»[٤] فإنه في الوقت ذاته ينبغي أن نحافظ

---

(١) راجع: د. تمام حسان ، موقف النقد العربي للتراث من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية صـ ٧٩٠. ضمن كتاب: قراءة جديدة لتراثنا النقدي. أعمال ندوة عقدت في نادي جدة الأدبي الثقافي ، سنة ١٩٨٨م.

(٢) د. سعد مصلوح ، من نحو (الجملة) إلى نحو (النص) بحث بالكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية صـ٤٠٧ .

(٣)د.صبحي الفقي ، علم اللغة النصي ١/ ١١٥.

(٤) د. سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص صـ ١٣٥.

على الحد القائم بين هذين النحوين. ومن ثم يمكن لمثل هذه المقولة: (من نحو "الجملة" إلى نحو "النص") أن تلقى القبول في الوقت الذي تحقق فيه الهدف المسعي إليه من ورائها.

إذا سلمنا بهذا فإنه لابد إذن أن يُفرق عند التحليل بين العلاقات النحوية في الجملة، والعلاقات النصية في عموم النص، مدركين أن «الوجه النحوي للنص هو الذي يحيل ليس إلى نحو الجمل ، ولكن إلى العلاقات بين الوحدات النصية جمل ومجموعات من الجمل»[١]، وأن الجملة وحدة من وحدات النص، وأن النص «تتابع مترابط الجمل»[٢].

وانطلاقًا مما تقدم يرى البحث أن التحليل في تخطيه الجملة إلى النص من خلال شبكة العلاقات النصية لا يقلل من أهمية الجملة ؛ لأنها البنية الصغرى فيه بل اللبنة الأولى في تكوينه.

ومن ثم يذهب البحث إلى أن العلاقات النصية محاورها الرئيسة في مجال تحليل النص هي : الجملة وجارتها، والفقرة أو الأقطوعة وجارتها، والقطعة وجارتها، والمقطع وجاره، والقطاع وجاره . أي وحدات وأجزاء بنية نص الكتاب، أو الخطاب كله. ويمكن توضيح ذلك من خلال النموذج التالي :

---

(١) جان ماري ستشايفر، العلاماتية وعلم النص صـ ١٢٢.

(٢) برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية صـ ١٨٨. ترجمة د. محمود جاد الرب ، الدار الفنية، القاهرة صـ ١٩٨٧.

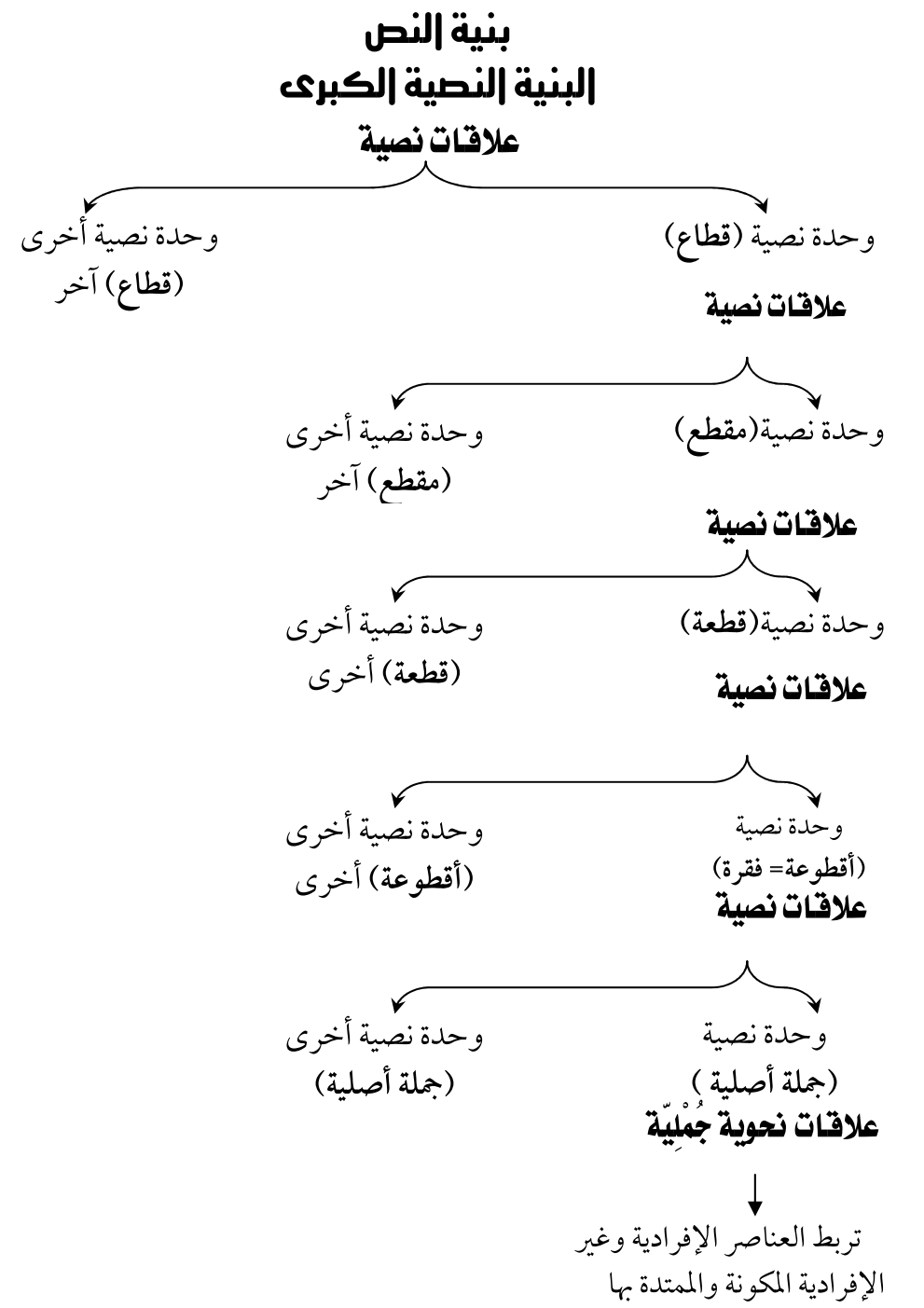
بنية النص
البنية النصية الكبرى
علاقات نصية
وحدة نصية (قطاع)
وحدة نصية أخرى (قطاع) آخر
علاقات نصية
وحدة نصية(مقطع)
وحدة نصية أخرى (مقطع) آخر
علاقات نصية
وحدة نصية(قطعة)
وحدة نصية أخرى (قطعة) أخرى
علاقات نصية
وحدة نصية (أقطوعة= فقرة)
وحدة نصية أخرى (أقطوعة) أخرى
علاقات نصية
وحدة نصية (جملة أصلية)
وحدة نصية أخرى (جملة أصلية)
علاقات نحوية جُمْلِيّة
تربط العناصر الإفرادية وغير الإفرادية المكونة والممتدة بها

رابعًا: وظائف العلاقات النصية وأهميتها

تلعب العلاقات النصية دورًا مهمًا في الدراسات النصية، إن لم تكن هي نفسها الدراسات النصية؛ لأنها محور النص في البناء والتحليل، وبدونها يظهر النص على أنه مقاطع صوتية غير مفهومة؛ ومن ثم فإن التأكيد على إبراز هذه العلاقات ودورها في النص أمر يساعد على تفسير النص من جهة؛ ومن جهة أخرى تعين وتساعد هذه العلاقات على التماسك والترابط بين أجزاء النص ووحداته.

وقد عد بعض الباحثين العلاقات النصية شرطًا ضروريًا وكافيًا للتعرف على ما هو نص، وعلى ما هو ليس بنص، ويتبين هذا من خلال الشكل التالي:

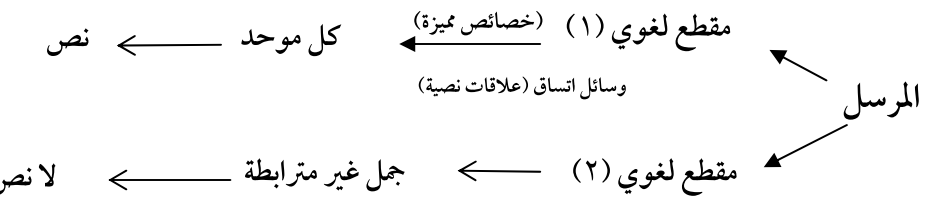

والعلاقات النصية تقوم بوظائف، أهمها:

* إنتاج نص متماسك؛ لأنها تعطي النص سمة المقبولية الصحيحة، وما دام النص قد حصل على المقبولية من قبل المستقبل، فإن هذا يضمن - لا شك - نجاح عملية الاتصال اللغوي؛ ومن ثم تتحقق معايير النصية أو الكفاءة النصية[٢].

* كما أنها تجعل النص شبكة نسيجية من الصعب فك عراها؛ لأنها تعزز مسألة كون النص نسيجًا من المكونات اللفظية والدلالية التي تترابط وتتماسك فيما بينها لتشكل النص؛ وذلك على اعتبار أن النص نسيج من الجمل يترابط بعضها مع بعض[٣].

---

(١) راجع: د. محمد خطابي: لسانيات النص صـ ١٢. ويري البحث - كما وضح الدكتور محمد خطابي - أن هذا الهيكل ينقصه أمر مهم من الأمور الواجب توافرها عند التحليل النصي من خلال العلاقات النصية، ألا وهو المتلقي، فإن له دورًا حيويًا في الحكم على التماسك النصي من عدمه. راجع د. محمد خطابي: لسانيات النص صـ ١٣. وسوف يُوضَّح ذلك الدور - إن شاء الله تعالى - فيما بعد.

(٢) راجع: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء صـ ١٠٤ وصـ ٢٩٩.

(٣) راجع حول هذا المعنى الأزهر الزناد: نسيج النص صـ ١٢.

والفعل النسيجي الذي تقوم به هذه العلاقات يعزز المنحى التداولي النصي، ويؤدي إلى نجاحه واستمراره، فالحديث عن العلاقات النصية ليس حديثًا عن علاقة لفظة بأخرى داخل الجملة، وإنما علاقة جملة بأخرى، ومعلوم أن مستخدم اللغة لا يتواصل مع غيره على أساس الجمل، وإنما يكون على أساس النصوص[١]. كما أن وجود المكون أو المستوى التداولي إضافة إلى المكونين أو المستويين: النحوي والدلالي سيؤدي إلى تحديد مدى مناسبة الجمل والخطاب للسياقات التواصلية المنجزة فعلًا، وهذا كله في النهاية يؤدي إلى التأثير الإيجابي في نفسية المستقبل، مما يجعله يتفاعل مع النص ويستمر[٢].

* وتعمل العلاقات النصية ـ أيضًا ـ على تحقيق الفهم الصحيح للنص، وتنظيم أفكاره، وتتابعاته الدلالية المختلفة؛ نظرًا لما توفره من **السبك** القائم على علاقة الإحالة، والحذف، والاستبدال، والربط، والتكرار، أو **الحبك** القائم على علاقات التسلسل المنطقي، أو **التناص** القائم على علاقات لديها القدرة على صنع جسور كبرى للتواصل بين أجراء النص المتباعدة، وذلك من من خلال الاستدعاء، حيث الربط بينها ربطًا واضحًا. وهذا ما يؤكد أهمية العلاقات النصية.

لذا؛ فإن دراسة العلاقات النصية تعني الكشف عن الأدوات والوسائل التي تمكن المحلل من اكتشاف طرق بناء النص، ولِمَ يكون هذه النص ناجحًا وذلك غير ناجح ؟ ولم يؤثر هذا النص في الإنسان فيدفعه إلى التواصل؟ولم لا يؤثر ذلك النص ويدفع الإنسان إلى الملل؟ وباختصار إن دراسة هذه العلاقات هي دراسة لطرق بناء النص، وكذا دراسة وسائل وأدوات تحليله.

خامسًا : مهمة المتلقي ودوره في استنباط العلاقات النصية

يمثل المتلقي جانبًا مهمًا من جوانب التداولية التي تنهض على أركان ثلاثة: النص، والمؤلف والمتلقي. فالنص رسالة تنطلق من المؤلف (المرسل) أو (الباث) باتجاه المتلقي (القارئ أو السامع) الذي يقوم بدور فاعل في هذه العملية؛ حيث استنطاق وفض

---

(١) راجع د. سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات صـ ٢٢١ - ٢٢٢.

(٢) المرجع السابق صـ ٢٢١.

مغاليق هذه الرسالة، وكذا فك شفراتها والكشف عن مضمونها.

والنص عامة والقرآني خاصة موجه إلى المتلقي؛ كي يتفكر فيه ويعمل فيه عقله ومشاعره، ومن ثم يصل بفطرته وإدراكه إلى الوشائج والعلاقات التي بها يتماسك النص ويترابط ومن هنا تبرز مهمة المتلقي.

ونظرًا لأهمية هذا الجانب لم يغفل العلماء موقف المتلقي قديمًا وحديثًا، فيذكر الدكتور مصطفي حميدة: «أن النحاة أقاموا صرح علم النحو العربي على دراسة مهمة المتلقي لا مهمة المتكلم... فقد استنبطوا قواعدهم باستقراء الأداء الذي يتلقاه المتلقي...» [(١)]. ولتأكيد وإثبات أهمية علم (المخاطب) حرص عليه المحدثون، ولكن بمصطلح (المتلقي).

وقد أدرك علماء النصية مدى أهمية المتلقي في العملية الإبداعية، وأنه ليس مجرد مستهلك للنص، بل يعد مشاركًا في النص؛ حيث إن حضوره في هذه العملية حضور إيجابي[(٢)].

وهذا لا شك يعني أن القارئ شريك للمؤلف في تشكيل المعنى. وهو في ذلك شريك مشروع؛ لأن النص لم يكتب إلا من أجله[(٣)].

كما أنه يبرز لنا أن المتلقي أصبح ركنًا أساسًيا من أركان التحليل النصي؛ فهو القراءة الثانية للنص.

هذا، وقد احتلت وظيفة المتلقي مكانة عالية لدى العلماء المحدثين، حتى تأسست في الثلاثينيات من هذا القرن نظرية التلقي، وكانت « أبرز معطياتها أن كلاً من المعنى والبناء... ينتجان عن التفاعل بين النص والقارئ... فالقارئ هو - إلى حد ما - المبدع المشارك، لا للنص نفسه، بل لمعناه وأهميته وقيمته »[(٤)]. وهذا ما دفع الدكتور عبد العزيز حمودة إلى القول بأننا: «لا نكون مبالغين إذا قلنا إن أهم الأدوات في استراتيجية

---

(١) د. مصطفي حميدة ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية صـ ٢ - ٢١.

(٢) حول هذا المعنى راجع د. صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي ١/ ١١٠.

(٣) راجع: د. نبيلة إبراهيم ، القارئ في النص : نظرية التأثير والاتصال، مجلة فصول، عدد الأسلوبية، مجلد (٥)، عدد (١) صـ ١٠١ - ١٠٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤.

(٤) د. عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة : من البنيوية إلى التفكيك صـ ٣٢٢ - ٣٢٣.

التفكيك هو دور القارئ، وليس المؤلف... فالقارئ فقط هو الذي يحدث عنده المعنى ويحدثه»[١]؛ «ومن ثم يعد القارئ مسئولًا عن النص »[٢]؛ لأنه يعتمد في تفكيكه على «النشاط القرائي الذي يعمل على الارتباط الوثيق بالنصوص التي يتناولها »[٣].

ومن الباحثين الذين أولوا المتلقي أهمية كبيرة بروان ويول، وذلك أثناء حديثهما عن انسجام النص أو الخطاب، حيث يرى الباحثان أن المتلقي وحده الذي يحكم على نص بأنه منسجم وعلى آخر بأنه غير منسجم؛ ومن ثم جعلا تركيزهما على انسجام التأويل، وليس على انسجام الخطاب، أي أن الخطاب يستمد انسجامه من فهم وتأويل المتلقي ليس غير[٤].

وفي سبيل تحقيق ما ذهبا إليه تناولا مجموعة من المفاهيم توضح المبادئ التي يعتمد عليها المتلقي في فهم النص وتأويله، كما أن هذه المفاهيم تبين بعض العمليات التي يقوم بها المتلقي؛ ليكون تأويل النص سهلًا. ومن هذه المفاهيم[٥].

أولًا: السياق ثانيًا: مبدأ التأويل

ثالثًا: مبدأ القياس رابعًا: التغريض

خامسًا: المقام الاجتماعي سادسًا: الأطر المعرفية

سابعًا: المدارات ثامنًا: تحديد الاستنتاجات اللازمة

تاسعًا: الاستدلال بوصفه اكتشافًا للحلقات المفقودة.

عاشرًا: الاستدلال بوصفه إقامة لعلاقة غير تلقائية.

ويرى البحث أن القارئ أو المتلقي لا يمكن أن يكون صاحب النص أو مالكه

---

(١) المرجع السابق صـ ٣٢١ .

(٢) المرجع السابق صـ ٣٢٧.

(٣) د. سمية سعد ، عرض كتاب التفكيك. النظرية والتطبيق، تأليف: كريستوفونوويس. مجلة فصول بعنوان الحداثة في اللغة والأدب صـ ٢٣١. المجلد (٢) عدد (٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرية ١٩٨٤م.

(٤) راجع: د. محمد خطابي ، لسانيات النص صـ ٥١.

(٥) راجع: براون ويول ، تحليل الخطاب في الصفحات التالية: (٥٦ - ٦٠- ٧١ - ٧٢ - ٧٤ - ٧٨ - ٧٩- ٨٠ - ٨١- ٢٧٣ - ٢٨٥- ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٩- ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣١١- ٣٢٤ - ٣٩٣).

يسقط عليه ما يشاء وقتما شاء وكيفما شاء دون اعتبار لمعطيات النص من بنية لغوية، وتماسك دلالي، وقصدية تكمن خلف الشكل والمضمون النصي، وإلا كان معنى ذلك فوضى التفسير، أو بمعنى أدق لا تفسير. اللهم إذا امتلك المتلقي الأدوات الكافية التي تؤهله لمثل هذا العمل، كما لابد أن تتوفر فيه الكفاءة التي تمكنه من استيعاب النص وتفكيكه، وتتمثل تلك الكفاءة في معرفة لغة النص، وأسلوبه، وسياقه.

وهذا ما أكده كثير من المعاصرين فتحدثوا عن «ضرورة انتقال القارئ المعاصر- مثلًا - بالأفق التاريخي لقارئ سابق؛ حتى يفهم كيف قرأ النص، ولماذا قرأه بالطريقة التي قرأ بها»[١].

ولعل القراءة في عمل فريد من أعمال علمائنا السلف الأجلاء قدمه الإمام السيوطي في كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور) ، الذي استطاع من خلاله أن يتجاوز بالعلاقات النصية ربطًا وتناسبًا بين أجزاء النص الواحد إلى طائفة من النصوص في مدونة كبرى (القرآن الكريم) تعدُّ من الصور التي توضح مدى أهمية هذا الانتقال القرائي عبر الأفق التاريخي.

وثمة معطيات في هذا العمل مستنبطة - وقف عليها الدكتور محمد العبد إبَّان قراءته إياه - يمكن أن يستعين بها القارئ المحلل عند تحليل النصوص بنيَّة الكشف عن العلاقات النصية التي بها تتماسك وتترابط النصوص وحداتٍ وأجزاء. وهذه المعطيات جاءت على النحو التالي:

«يجمع النص بالآخر في محيط نص مترابط أكبر علاقتان دلاليتان اثنتان على الأقل: إحداهما علاقة مطردة بين جميع النصوص، من حيث إن أحدهما يفصل مجمل الآخر، ومن حيث إن كلًا منهما جزء من كل، والأخرى متغيرة حسب موقع النص مما قبله وما بعده»[٢].

«كلما طال نصان متواليان في نص مترابط مطول، كانت فرصة لأن تجمع بينهما أكثر

---

(١) راجع: د. محمد خطابي ، لسانيات النص من صـ ٥٢ إلى ٧٥.

(٢) د. محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال صـ ١٦٧ - ١٦٨.
الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة بدون.

من علاقتين اثنتين»[١].

«إذا كان إحصاء العلاقات الدلالية بين المنطوقات وأجزاء ا لنص الواحد عملًا متاحًا؛ فإن إحصاء العلاقات الدلالية بين طائفة من النصوص التي يقوم عليها نص أكبر واحد يبدو شيئًا غير يسير، وقابلًا للتأويل والتعدد. ولعل ما استشعره السيوطي من تجاوز وجوه التناسب والاتصال بين سور القرآن ماذكره في عمله؛ كان وراء قوله:«جميع هذه الوجوه التي استنبطتها من المناسبات بالنسبة للقرآن كنقطة من بحر»[٢].

« ليست العلاقات بين نصية في مدونة كبرى من حيث المعنى والمقصد ظاهرة دائمًا. حيث تظهر هذه العلاقات حينا، ولكنها خفية في أحيان أخرى. ويرتبط خفاء العلاقات بطول النص ومقصده في كثير من الأحيان »[٣].

«للاستدلال دور مهم في استنباط العلاقات الدلالية التي لم يصرح بها الخطاب. يمكن أن نضرب على ذلك مثلًا نوع الاتصال بين سورة (نوح) و(المعارج) قبلها؛ قال السيوطي: «أكثر ما ظهر في وجه اتصالها بما قبلها بعد طول الفكر أنه سبحانه لما قال في (سأل) - يعني المعارج - ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ {٤٠} عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ{٤١}﴾ [المعارج: ٤٠، ٤١]، عقبه بقصة قوم نوح المشتملة على إبادتهم عن آخرهم، بحيث لم يبق منهم ديار، وبدل خيرًا منهم، فوقع الاستدلال لما ختم به تبارك...»[٤].

«إذا كانت بنية النص الكبرى هي بنية المحتوى النصي الشاملة التي تؤثر على مقصده الرئيسي، فإن بنية النصوص المكونه لنص أكبر ممتد ينبغي لها أن تكون - عبر علاقات الكبرى فيها - ما يمكن تسميته بالبنية النصية العظمى»[٥].

إن المقصد الرئيس في النص أو الخطاب، أو ما يسمى بالقصدية النصية من الأمور

---

(١) المرجع السابق صـ١٦٨.
(٢) المرجع السابق صـ١٦٧.
(٣) المرجع السابق صـ١٦٨.
(٤) د. محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال صـ١٦٩.
(٥) المرجع السابق صـ١٧٠.

التي لا نستطيع أن نترخص فيها، أو نتردد في القول بها؛ لأنها - لاشك - تعد إسهامًا فاعلا نشطا في توجيه التفسير الصحيح والقبول للنص دون أدنى جنوح في التفسير أو فوضوية في التأويل.

إن إلحاح البحث على تأكيد أهمية القصدية في النص ليس سببه ما دار حولها من خلاف في الغرب بين علمائه بين رافض لها أوناف فحسب[١] بل لكون بعض معاصرينا من أبناء العربية نظروا بدورهم إلى القصدية نظرة استهجان وسخرية وساروا على درب المدرسة الغربية في نفيها أو رفضها. ويكفي أن نمثل بقول مؤلف:(فلسفة المجاز) حيث يقول: «والقصد في كلامهم عقيم لا ينتج شيئًا»[٢]. ومثل ذلك نراه في قول صاحب (الخطيئة والتكفير) حيث يقول: «النص الأدبي وجود عائم فمبدعه يطلقه في فضاء اللغة سابحًا فيها إلى أن يتناوله القارئ»[٣].

والذي يراه البحث هو أننا لسنا في حاجة إلى طرح أو نفي أحد أركان منظومة التداولية في أي حالة من حالات التحليل أو التناول، بل الأنسب - وهو ما يميل إليه البحث ويرجحه - أن هذه المنظومة من (النص والمؤلف والمتلقي) تتكامل لا تتقاطع، فكل منها متصل بالآخر يؤثر فيه ويتأثر به في الوقت نفسه، فهي علاقة تقوم على التوازن والتكامل، فالمؤلف له رسالة يضمنها النص الذي يستجيب لهذه الرسالة في شكل أدبي ما، والمتلقي الذي يتفاعل مع القصدية المتمثلة من وراء النص الحامل لها بغية تفسيرها والوصول إليها من خلال شبكة من العلاقات النصية، ساقها المؤلف منتظمةً لهذه القصد يه.

ومن هنا يصل البحث إلى نتيجة مؤداها إن مقولة: « إن القارئ هو المهيمن على النص أو هو منشئ النص أو هو مالكه »[٤] إلى هذه الأقاويل على حد زعم أصحاب

---

(١) راجع: عمر أو كان ، لذة النص أو مغامرة الكتابة لدي بارت صـ ٦١. إفريقيا الشرق ١٩٩١م.

(٢) د. لطفي عبد البديع ، فلسفة المجاز في البلاغة العربية والفكر الحديث صـ ١٦٥. النادي الأدبي. جدة. السعودية، ط: ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) د. عبد الله محمد الغذامي ، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية صـ ٢٦. كتاب النادي الأدبي الثقافي - جدة -السعودية، ط: ١، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤) د. نبيلة إبراهيم ، القارئ في النص : نظرية التأثير والاتصال صـ١٠٤.

مدرسة التلقي أو القارئ في النص ومن شايعهم مقولة مردودة لا يمكن - دون نظر - قولها أو التسليم بها؛ لأن ذلك معناه أن المتلقي للنص أيًا ما كان لن تحده حدود يقف عندها.

فقد ينجرف إلى مناطق ومزالق خطيرة، بل ونتائج أخطر، وبخاصة حين التعامل مع النصوص المقدسة التي لا يمكن أن يترك أمر تفسيرها لعبث العابثين، أو أهواء القارئين المتلقين، حيث ميولهم الشخصية وأطروحاتهم الفكرية التي تتمكن منهم كثيرًا أو قليلًا فينزلونها على النص بما لا يتحمله ولا يليق به، وأيضًا لا يقبله.

إن النقطة السابقة تسوقنا إلى هذا التساؤل ما التفسير أو التأويل الصحيح والمقبول إذن حال التعامل مع النص القرآني مثلاً وما ضوابطه؟

وفي هذا الأمر يوضح صاحب البرهان في علوم القرآن حيث يقول: «وقال أبو القاسم بن حبيب النيسابوري والبغوي والكواشي وغيرهم: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط»[1].

يبدو من قول الزركشي أنه يشير إلى عنصر مهم في عملية التأويل (تأويل النص) وهو عنصر القارئ أو المتلقي «المستنبط». ومن المهم - هنا - أيضًا - التأكيد على أن هذا الأمر - أعني: الاستنباط - ليس على إطلاقه، بلا حدود أو ضوابط، بل كما رأينا في النص السابق لابد من أن يتقيد النص بضوابطه وقصديته التي توجه إليها ألفاظه ونظمه وسياقه الذي يحتويه ؛ وذلك حتى تصرف الآية إلى معنى يتوافق مع ما قبلها وما بعدها، إلى ارتباطها بالنظم الذي انتظمها والمعنى الذي هو جزء منه، وعامل فيه معا، في الوقت الذي يكون فيه المعنى المستنبط غير مخالف للكتاب والسنة. وهذا إطار أرحب وأوسع. أما أن يخضع التفسير أو التأويل للميول والأهواء بلا ضابط ولاحد فهذا - لا شك - محظور، بل مرفوض ، وهو ما اعتبره القدماء تأويلًا مخالفًا لمنطوق النص ومفهومه.

قال الزركشي موضحا ذلك : «فأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور؛ لأنه

---

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٥٠.

تأويل الجاهلين..»[١].

لاشك أن وضع ضوابط وشروط في المتلقي (المستنبط) - كأن يكون ملمًا بسياق النص، مدركًا لغته، واسع الأفق - له أهميته من حيث القراءة. كما أن وضع الضوابط والشروط لعملية الاستنباط نفسها - لاشك - يؤدي إلى نتائج صحيحة، من حيث هي وصول بعد اجتهاد.

فالقارئ الذي يدرك طبيعة النص، والوسائل والأدوات المستعملة في وصل وربط سياقه هو ذلك المتلقي القارئ الماهر ، أو ـ إن صح التعبير ـ هو المتلقي القارئ المثال.

وهذا القارئ أو المتلقي الذي هذه خصائصه هو الذي يستطيع أن يستنبط بفطرته وإدراكه القائم على الخبرة المكتسبة بتكرار النظر في النصوص العلاقات التي بها يتماسك النص ويترابط.

سادسًا : تقسيم العلاقات في النص ومعايير التقسيم

ثمة تقسيمات للعلاقات في النص متعددة يختلف كل تقسيم منها حسب المعيار الذي كان على أساسه. وأبرز معايير التقسيم ما جاء على النحو التالي:

أ - تقسيم العلاقات في النص من حيث الدال والمدلول

تنقسم العلاقات في النص من حيث الدال والمدلول إلى علاقات ملفوظة وعلاقات ملحوظة، وهذه الثنائية تنظر إلى العلاقات بين أجزاء أو وحدات نص ما من حيث ما يدل عليها ويفيدها، فإما أن يدل عليها بلفظ فتنسب إليه، فتسمى علاقات لفظية أو خطية، وإما ألا يدل عليها بلفظ بل تعتمد على فهم المتلقي ولحظه لها من قرائن نصية ومقامية فتسمى حينئذ علاقات مفهومية أو لحظية، ويؤخذ هذا الطرح من قول الدكتور تمام حسان: «تدرك العلاقات بواسطة القرائن الدالة عليها... واللغة نظام لفظي يربط الألفاظ بالمعاني بواسطة نوعين من القرائن، أحدهما يسمى القرائن اللفظية، والآخر هو القرائن المعنوية، أي أن العلاقات بين أجزاء الكلام قد يستدل عليها بقرائن لفظية فنسميها علاقات ملفوظة، وقد يستدل عليها بقرائن معنوية

---

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٥٢.

فنعرفها باسم العلاقات الملحوظة، أي التي لا يعتمد إدراكها على قرائن لفظية»[١].

كما أن هذا التقسيم يفهم - أيضًا - ويتضح من قول الدكتور محمد حماسة:«النص الواحد تحكمه علاقات لغوية ودلالية تعمل على تماسكه وترابط أجزائه، وعلى من يتصدى لتفسير النص أن يستعين بهذه العلاقات بنوعيها، وقد تكون العلاقات أو الروابط اللغوية واضحة تتمثل في ببعض الأدوات كالعطف والسببية (كالفاء) وبيان الغاية أو الاستدراك.... أما العلاقات الدلالية فإنها متنوعة ومتجددة مع النصوص بحيث يكاد كل نص يبتكر وسائل تماسكه الدلالية، وهذه العلاقات الدلالية هي التي... تساعد على ربط الإشارات في النص ببعضها، وتعين على تطورها وأسلوب تحولها حتى تكون في النهاية خيطًا قويًا يربط النص رباطًا خفيًا يحتاج إلى تلطف لكشفه»[٢].

ب - تقسيم العلاقات في النص من حيث الوضع أو المستوى

تنقسم العلاقات في النص من حيث الوضع أو المستوى إلى علاقات أفقية وعلاقات رأسية، وهي عبارة عن منهج لتناول النصوص من أجل الكشف عن تعانق الروابط الرأسية والأفقية داخل النص الواحد، ويؤخذ هذا الطرح من قول الدكتور محمد حماسة: «ينتظم القصيدة نوعان من العلاقات النحوية، النوع الأول منهما هو ما أسميه بالعلاقات الأفقية، وأعنى بها ترابط الجملة الواحدة في داخلها بواسطة العلاقات النحوية المعروفة على مستوى الجملة من الابتدائية والخبرية، أو الفعلية والفاعلية، وما يلحق بكل منها من متعلقات وتوابع وما يتسلط عليها من معاني الاستفهام والنفي والتوكيد والعطف، وغير ذلك من معنى الأدوات المتعددة، وما يكتنف ذلك من التعريف، والتنكير، والتقدير والتأخير»[٣]. وهذه «العلاقات الأفقية

---

(١) د. تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ١/ ٣٩٥. وانظر - أيضًا - د. تمام حسان: العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني ١٨٧ - ١٨٨؛ مجلة الدراسات القرآنية، المجلد الثالث، العدد الثاني ٢٠٠١، كلية الدراسات الشرقية والإفريقية - جامعة لندن.

(٢) د. محمد حماسة عبد اللطيف ، الإبداع الموازي صـ ٣٦.

(٣) د. محمد حماسة عبد اللطيف ، اللغة وبناء الشعر صـ ٤٤.

تشكل عصبًا مهمًا في بنية القصيدة، وهو المجاز بأنواعه المختلفة»[١].

«والنوع الثاني هو ما أسميه **العلاقات الرأسية**، وأعني بها تماسك القصيدة كلها في إطار واحد محكوم بعلاقات نحوية سياقية توثق من عرى الترابط بين الجمل بعضها والبعض الآخر، مضافًا إليها الإشارات المتشابهة في الجمل، أو الوظائف النحوية المتكررة بينها، أو الرموز اللغوية التي تتردد بين جملة وأخرى، سواء كانت هذه الرموز ممثلة في كلمة بعينها، أو صيغة خاصة أو حالة معينة تلابس هذه الجمل وتشيع في جوها، أو يحدث بينها تخالف يذكر بعضه بنقيضه الموجود في جملة سابقة أو لاحقة»[٢].

وهذه **العلاقات الرأسية النصية** «تكون مسئولة عن تكوين سياق نصي يساعد على تفسير التراكيب داخل النص، وكل جملة في النص لا يمكن فهمها إلا من خلال ترابطها بأخواتها في النص»[٣].

جـ- تقسيم العلاقات في النص من حيث البنية العميقة و البنية السطحية

قسم جون كوين ونوع العلاقات في النص من حيث البنية العميقة والبنية السطحية إلى صورتين[٤]:

الأولى: علاقات الربط الواضح، ويجري الربط بها من خلال وسائل تركيبية قوية ظاهرة على سطح النص، وهذه الوسائل التركيبية قد تكون حرف عطف (**الواو، لكن**.. إلخ) أو ظرف (**مع أن**.. الخ).

والثانية: علاقات الربط التضمني، ويجرى الربط بها من خلال تجاور بسيط بين القضايا أو الجمل.

وعلى هذا النحو قدم جون كوين هذين المثالين:

- السماء زرقاء والشمس تتلألأ.

---

(١) د. محمد حماسة عبد اللطيف ، منهج في التحليل النصي للقصيدة صـ ١٢٦.

(٢) د. محمد حماسة عبد اللطيف ، اللغة وبناء الشعر صـ ٤٥.

(٣) د. محمد حماسة عبد اللطيف ، منهج في التحليل النصي القصيدة صـ ١٢٦ - ١٢٧.

(٤) جون كوين ، بناء لغة الشعر ١٨٩ - ١٩٠ ترجمة وتقديم وتعليق د. أحمد درويش، دار المعارف، القاهرة ط:٣، ١٩٩٣م.

- السماء زرقاء. الشمس تتلألأ[١].

ثم قال: «ونحن نرى أن العبارة الثانية خالية من حرف العطف، وهي مساوية- مع ذلك- في المعنى للعبارة الأولى، وفي الواقع فإن التجاور أكثر وسائل الربط شيوعًا، فوجود حرف (الواو) في صدر كل جملة يثقل المقال بدرجة ملحوظة، والكلام المكتوب يفضل اللجوء إلى مجرد التجاور»[٢].

والربط - كما هو واضح - جاء من قبيل التجاور الذي آزرته نظرية الحقول الدلالية التي تربط بين السماء والشمس (من حقل دلالي واحد)، وقد ارتبط بهما الألوان والتلألؤ، مما جعل الترابط العام واضحًا بالتضمن دون وجود حرف رابط في ظاهر النص.

ويوضح جون كوين ذلك قائلًا: «إن كل ربط يستلزم وحده - إلى حد ما - وحدة في المعنى بين الأجزاء التي يربط بينها»[٣].

د - رأي في تقسيم العلاقات النصية

أوضح البحث فيما سبق أن لغة النص المحلل - خاصة إذا كان نصًا كبيرًا ممتدا ذا وحدة نصية كبري تفاوتت وحداتها وأجزاؤها في الحجم من جهة، وتداخلت فيما بينها من جهة أخرى - قد انتخبت من معايير النصية ما يخصها تاركة مالا يخصها. وقد استقر هذا الانتخاب على معايير ذات أبعاد ثلاثة: هي السبك، والحبك، والتناص، **فالأول**: يعود إلى علاقات تربط البنى اللغوية في ظاهر النص أو السطح، **والثاني**: يعود إلى تلاحم العلاقات المعنوية بناء على ما تثيره عبارات النص، و**الثالث**: يعود إلى طرق تضمين وحدة سابقة أو لاحقة باللفظ أو المعنى لوحدة أخرى في النص المنتج بناء على تقدير ثقافة المتلقي وعلمه بكلية النص. مؤكدًا أن التماسك أو الترابط النصي - وهو المعني بالعلاقات النصية- ينبغي أن تعالج قضاياه التحليلية من خلال نظرة شمولية تستوعب المعايير الثلاثة في وقت واحد ؛ لأن النص لا تتماسك وحداته ولا تترابط

(١) راجع جون كوين ، بناء لغة الشعر صـ ١٩٠.
(٢) السابق صـ ١٩٠.
(٣) السابق صـ ١٩٢.

أجزاؤه عبر **سبكه وحبكه** فحسب، وإنما- أيضًا - من خلال **تناصه أو اقتصاصه** بين الوحدات والأجزاء.

وانطلاقًا من هذا الانتخاب وذلك التأكيد يرى البحث- مفيدًا في الوقت ذاته من التقسيمات السالفة الذكر إن لم تكن معظمها مدرجة في التقسيم المرتضى - أن التقسيم الأنسب الذي يفرضه النص المعالج ينظر إليه من جانبين:

أولهما: أن النص القرآني مقسم إلى وحدات نصية، وحدة تمثلت في إطار سورة لها سياقها الخاص. وأن هذه السورة حسب حجمها تنقسم - أيضًا- إلى وحدات نصية، كل وحدة منها تمثل نصًا من حيث المعنى والتركيب. هذه جهة، ومن جهة أخرى تمثل كل وحدة من هذه الوحدات عمقًا تتفاعل من خلاله مع غيرها من وحدات السورة.

والثاني: أن النص القرآني كله لغة واحدة، وكلامه كلام واحد، أي أن وحداته النصية الموزعة في صورة سور أو أجزاء من سور تتداخل وتتشابك فيما بينها تفسيرًا وتفصيلًا وتضمينًا واحتواء وتماثلًا... إلى غير ذلك من صور التداخل أو التشابك النصي.

ويقرر البحث أنه إذا كانت هيكلة النص القرآني قد اتضحت من تصور هذين الجانبين السالفي الذكر فلابد أن يبحث في تقسيم يفيد من هذه التقسيمات المذكورة تبعًا لمعايير تقسيمها، في الوقت الذي يمكننا فيه استيعاب وحدات النص القرآني، بداية من السورة منفردة بسياقها، مرورًا بتماسك وحداتها وأجزائها بغيرها من السور، وصولًا إلى ترابط أجزاء النص القرآني كله سورًا ووحدات من سور.

والتقسيم الذي سيعتمد البحث عليه - مفيدًا من التقسيمات السابقة - في تقسيم العلاقات النصية هو تقسيم مؤسس في صورته على **نمطين نصيين** اندرجت تحتهما جملة العلاقات المرصودة. وأن هذين النمطين تأسست فكرتهما على ثنائية نصية ركناها **المركزية واللامركزية**.

و**المركزية واللامركزية** عبارة عن منهج مقترح لتناول النصوص من أجل الكشف عن العلاقات النصية وفاعليتها فيها، خاصة إذا كان النص المحلَّل ذا بنية نصية كبرى تشتمل على بنيات نصية صغرى كالنص القرآني. وهذه الثنائية (المركزية واللامركزية)

تنظر إلى العلاقات النصية من حيث انغلاق النص وانفتاحه على أنها تأتي في صورتين أو نمطين.

أولهما: إذا كان النص المحلَّل - وهو بنية نصية صغرى احتوتها بنية نصية كبرى كنص السورة القرآنية بالنسبة لنص القرآن الكريم - منغلقًا في محله على نفسه دون أن تتعدى أو تتجاوز وحدات بنيته النصية إلى غيرها من وحدات البنيات النصية الأخرى فإن العلاقات النصية في هذه الحالة تكون علاقات مركزية، أو كما أطلق عليها البحث «**علاقات محلية**»، وهي العلاقات النصية الفاعلة في سياق وحدات وأجزاء نص السورة الواحدة.

والثاني : إذا كان النص المحلَّل- وهو- أيضًا - بنية نصية صغرى احتوتها بنية نصية أكبر منفتحًا بمحله على وحدات بنيات نصية أخرى في إطار البنية النصية الكبرى فإن العلاقات في هذه الحالة تكون علاقات غير مركزية، أو كما أطلق البحث عليها «**علاقات استدعائية**» ، وهي العلاقات النصية الفاعلة في سياق نص لغة القرآن الكريم كله، وهي علاقات اتخذت النص القرآني في وحداته وأجزائه كلها مجالًا رحبًا للربط والترابط، وذلك من خلال بيان خيوط المعاني والألفاظ التي جمعت بين هذه الوحدات النصية من جهة، والمعاني والألفاظ التي تماسكت بها أجزاء هذه الوحدات. وهذه جهة أخرى.

إذن يخلص البحث إلى أن **العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم** لا تخرج - كما يرى - عن صورة هذين النمطين:

أولهما: **العلاقات النصية المحلية**

والثاني: **العلاقات النصية الاستدعائية**

غير خافٍ في الوقت ذاته أن البحث قد أفاد من معايير التقسيم السالفة الذكر. وهذا ما سنجده واضحًا جليًا ـ إن شاء الله تعالى ـ في توزيع علاقات هذين النمطين، وكذا تقسيماتها.

فالنمط الأول وهو العلاقات النصية المحلية قد انقسم إلى قسمين:

أولهما: العلاقات النصية ذات الترابط اللفظي

والثاني: العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي

وانقسم **النمط الثاني** وهو العلاقات النصية الاستدعائية إلى قسمين:

أولهما: العلاقات النصية ذات الترابط اللفظي

والثاني: العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي

وفي كل تقسيم من تقسيمات هذين النمطين يندرج تحته تقسيم أو تقسيمات أخرى. هذا ما سنتعرف عليه - إن شاء الله تعالى - في الفصل الأول من الباب التالي، وهو المعني بدراسة العلاقات النصية في سياق لغة النص القرآني.

أما الفصل الثاني ـ وبخاصة المبحث الثاني منه ، وهو المعني بتحليل سياق نص سورة الأحزاب ـ فسوف يتناول ـ إن شاء الله تعالى ـ هذين النمطين ـ أيضا ـ ولكن من خلال التفاعل القائم بين وحدات نص السورة وأجزائها من جهة ، وبين أجزاء ووحدات غيرها من السور . وهذه جهة أخرى .